
قافلة الزيت
شوال ١٣٩٠ - نوفمبر - ديسمبر/١٩٧٠

# قافلة الزيت

العدد العاشر — المجلد الثامن عشر

تصدر شهرياً عن شركة الزيت العربية الامريكية لموظفيها
ادارة العلاقات العامة
توزع مجاناً
العنوان صندوق البريد رقم ١٣٨٩ الظهران - المملكة العربية السعودية


## محتويات العدد

### آداب



### لقاء مع



### علوم



### ندوة القافلة حول:



### استطلاعات



## صورة الغلاف

يجري في المختبر اكتشاف مئات المشتقات من الزيت الخام التي تعود على الانسانية بالخير العميم .
(راجع مقال « الزيت في خدمة الانسان »)


المدير العام : مصطفى حسن الخان المدير المسؤول : علي حسن قنديلي

رئيس التحرير : منصور مدني المحرر المساعد : عوني ابو كشك

# عيد مبارك

اعزائي الموظفين

يسعدني أن أنتهز مناسبة حلول عيد الفطر المبارك لأقدم لكم ولأفراد أسركم أخلص التهاني وأزكى الأماني مبتهلاً الى العلي القدير أن يعيده عليكم وعلى المسلمين كافة باليمن والبركات . كما يطيب لي في هذه المناسبة الطيبة أن أعبر لكم عن بالغ تقديري للجهود المتضافرة التي بذلتموها وما زلتم تبذلونها في سبيل الصالح العام .

وكل عام وأنتم بخير

ل . ف . هلز

رئيس شركة الزيت العربية الأمريكية وكبير اداريها التنفيذيين

# كل عام وانتم بخير

يحتفل المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها بعيد الفطر المبارك وهم أقوى إيماناً وأشد عزيمة ، ويسر هيئة تحرير قافلة الزيت أن تغتنم هذه المناسبة الطيبة لترفع الى المسلمين والعرب كافة والى جلالة الفيصل المعظم وولي عهده الكريم والى القراء الأفاضل أحر التهاني وأخلص الأماني ضارعة الى المولى عز وجل أن يعيدهم الى أمثاله بالدعة والسعادة والنعيم

هيئة التحرير



# عمود الشعر العربي

بقلم الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي

**اصطلاح** جديد ظهر في أوائل العصر العباسي ، وتداولته ألسنة النقاد في هذه الحقبة الحافلة بمختلف التيارات الأدبية والنقدية ، وأخذه عنهم من جاء بعدهم من النقاد حتى اليوم .

وكان أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي ٣٧١هـ (٩٨٧م) أشهر النقاد الذين احتفلوا بعمود الشعر ، ورجعوا اليه ، وحكموه في قضايا النقد . قال في كتابه « الموازنة بين الطائيين » : سئل البحتري عن نفسه وعن أبي تمام ، فقال : « كان أغوص على المعاني مني ، وأنا أقوم بعمود الشعر » .

ولقد رجع الآمدي الى شتى الأصول الأدبية والبيانية في الشعر ، فجعلها كل شيء أو أهم شيء في النقد ، في حكمه على شاعرية أبي تمام والبحتري .. سواء رجعت الى النهج العربي والذوق الأدبي والأساليب العربية في النظم والصياغة ، أم الى الأفكار والمعاني والأخيلة ، أم الى الوزن الشعري ، أم الى النهج الخاص في المجاز ، والاستعارة ، والكناية ، والتشبيه ، والتمثيل ، والوصف ، والطباق ، والمقابلة ، والجناس ، وغيرها . ذلك لأنها كلها مما يجب على الشاعر أن يسترشد به ، وينظم شعره على مثاله ومنواله ، في رأيه .

والنقاد يسمون هذه الأصول كلها ، ومراعاتها من الشعر « عمود الشعر » ، وهو في أبسط معناه ، كل التقاليد الفنية التي التزمها القدماء في قصائدهم ، في الأفكار ، والمعاني ، والأخيلة ، والأغراض ، والألفاظ ، والأساليب ، والصور ، وغيرها . فهذه التقاليد هي « عمود الشعر » الذي حتّم الكثير من النقاد اتباعه والسير على منواله ، وسموا ما جاء على نمطه من قصائد شعرية للقدماء وغيرهم « قصائد عمودية » ، وهي قصائد تلتزم عمود الشعر .

وكان اختلاف النقاد في قضايا الشعر في القرن الثالث الهجري وما بعده حافزا لهم الى التحاكم اليه ، فضلا عن أنهم لم يجدوا شيئا سوى « عمود الشعر » يرجعون اليه ، أو يحكّمونه في الخصومات النقدية ، وفيما أتى به المحدثون والمولدون من ذوي الثقافات الجديدة والشعر المحدث .

وحتى اليوم لا نجد أصدق من تصويرنا لعمود الشعر ، الذي لا نجد تعريفا واضحا له عند النقاد في القديم والحديث . ولعل كلام « المرزوقي » (٤٢١هـ) عنه في مقدمة شرحه لحماسة أبي تمام هو التعريف الوحيد له في كتب الأدب العربي وفي كتب النقد جميعها ، مع ما فيه من غموض وقصور . يقول المرزوقي متحدثا عن الشعراء القدماء « كانوا يحاولون شرف المعنى وصحته ، وجزالة اللفظ واستقامته ، والاصابة في الوصف ، والمقاربة في التشبيه ، والتحام أجزاء النظم والتئامها على تخير من لذيذ الوزن ، ومناسبة المستعار منه للمستعار له ، ومشاركة اللفظ للمعنى ، وشدة اقتضائهما للقافية . فهذه سبعة أبواب هي عمود الشعر » .

**ولقد** كانت القصيدة التي ورثها الشعراء العباسيون أو المحدثون عن أسلافهم من الجاهليين والاسلاميين ، تبدو في أروع نماذجها ، وهو قصيدة المعلقات أو القصيدة العمودية .. فكل تراثنا الشعري يتمثل فيها ، وتمتاز بالأخيلة البديعة ، والتشبيهات النادرة ، والمعاني المبتكرة ، والأغراض المنوعة ، والأساليب البليغة ، والموسيقى المأثورة الى ما تمتاز به من شتى المقومات والعناصر الفنية .

ولقد أصبحت هذه التقاليد الفنية كلها جزءا من كيان القصيدة ، وصارت تلك القيود الملتزمة لا تقوّم القصيدة بدونها . بل صارت محببة الى الشعراء الأصلاء ، لأن الفن هو الفن ، ولا بد فيه من القيود ، والمثل الفرنسي يقول : « لا يحيا الفن بدون قيود » ، ومن خلالها تظهر عبقرية الشاعر وموهبته الأصيلة ، وفطرته الشعرية المتميزة .. والحرية في الفن هي استعمال الشاعر الموهوب أقصى عبقريته من خلال تلك القيود ، ومن ثم تبدو عظمة الفن ، اذ أنه ارستقراطي في التزامه لمناهج خاصة ، واتباعه لقيود شديدة ، لا يتاح لكثيرين النفوذ منها الى صميم التعبير عن الحياة والفكر من أبسط وأصدق صورها ومضامينها .

ولا يستثنى من الحرص على هذه القيود ، في أغلب الأمر ، مذهب من مذاهب الشعر ، ولا جماعة من جماعاته ، محافظة أم مجددة .. ولا نعدّ ذلك استعبادا فنيا ، على ما كان يحاول الدكتور أحمد زكي أبو شادي ، رائد مدرسة « أبولو » الشعرية ، أن يصوره به ، وتابعه فيه الثائرون على القصيدة العمودية ، وكان يذهب الى أن الوزن التقليدي يجر الشاعر الى استخدام أساليب وايقاعات تضرب بجذورها في أعماق

عقله الباطن ، وتملي عليه الايقاع والمعجم والأسلوب ، وتغلبه على ابداعه وشخصيته ، وتجعله غير قادر على التعبير عن كل الموضوعات والحالات الشعورية .

اننا لا نتبع الذين يرمون الصياغة الكلاسيكية بأنها تغلب الشاعر على ابداعه وشخصيته . ففي رأينا أنها لا تحول بينه وبين الابداع والشخصية والحرية الفنية ، وكان أبو شادي يكرر أنه يهدف الى التحرر من قيود لا ضرورة لها ، لا الى الخروج من القواعد الفنية . على أن الشاعر الموهوب لا تعوقه أبدا قيود الوزن والقافية ، كما قال أبو شادي في مقدمة ديوانه « الينبوع » .

ويجيء العصر العباسي ، ويظهر الشعراء المحدثون والمولدون ، ويأخذون في التجديد وفي طرق أبوابه ، لأن ذلك جزء من حرية الشاعر الفنية ، ولا يتعارض في رأيهم مع قيود الشعر الملتزمة .

نشأ المحدثون في ظلال حضارة العصر العباسي وثقافاته والامتزاج القوي الذي حدث فيه بين العرب والأمم الأجنبية .. ومن المحدثين ، ظهر المولدون من الشعراء ، الذين نشأوا من آباء عرب وأمهات أعجميات ، وبعضهم كانت أصولهم كلها أعجمية ، وان أطلق لفظ المولدين على ما كان يطلق عليه لفظ المحدثين من شهود العصر العباسي وحضارته ، ومن اتساع أفق الأفكار والخيال فيه .

وزاد المحدثون في معاني المتقدمين من الشعراء ، واهتدوا الى معان جديدة ، وأتوا بأخيلة وتشبيهات مبتكرة ، في أغراض غير الأغراض القديمة في بعض الأحيان ، وزادوا من تسهيل الأسلوب وتطويع الوزن الشعري . وصبغت الثقافات الجديدة المولدين بأفكارها في طرافة التفكير والتقسيم والمعاني والخيال ، وان اهتموا في أحيان بالمعاني الغامضة ، والاستعارات البعيدة ، والتشبيهات المتنافرة ، والبديع المتكلف ، وخرجوا من عاطفة الشاعر وغنائيته الى عقل المفكر ، وحكمة الحكيم ، فلجّ صالح بن عبد القدوس ، وأبو العتاهية ، ومحمود الوراق ، في الحكمة والمثل ، وذهب شعر العتّابي (٢٢٠هـ) في البديع ، وعلى مثاله كان يقول جميع من يتكلفه من المولدين ، كمسلم ومنصور النمري . ومسلم أول من تكلفه من المولدين ، ويشبّه بزهير في صناعته الشعرية ، وكانت هذه الموجه كلها خروجا على عمود الشعر في رأي كثير من النقاد ، وحول البديع قامت قضايا نقدية خطيرة في القرن الثالث الهجري .

وبشار بن برد ، هو أبو المحدثين وأستاذهم ، ويعجب الأصمعي (٢١٦هـ) بشعره ، ويشبهه بالأعشى والنابغة ، وينوه أبو عبيدة (٢٠٨هـ) بفطنته وصحة قريحته وجودة نقده للشعر . وكان ابن الرومي يقدمه ، ويزعم أنه أشعر الشعراء . ويرى الجاحظ أنه ما من مولّد الا وبشار أشعر منه ، وأن لا مولّد بعد بشار أشعر من أبي نواس ، الذي عد ثاني بشار في منزعه لفظا ومعنى ، وكان أسير المحدثين شعرا .

ولقد وجدنا الكثير من صور التجديد في القصيدة عند المحدثين والمولدين ، تجديد في الشكل والمضمون والمحتوى والثقافة والفكر ، وخروج على نمط الجاهليين في شتى عناصر القصيدة ، مما خالفوا فيه القدماء ، وأخلّوا فيه بعمود الشعر .

ويتابع النقاد في أوائل العصر العباسي هذه الحركة الشعرية الجديدة ، ويبدون آراءهم في هذا الشعر المحدث، الذي تحرر من عمود الشعر :

فأما أبو عمرو بن العلاء (١٥٤هـ) رائد المدرسة المحافظة فقد كان شديد التعصب على المحدثين ، لخروجهم على عمود الشعر ، بل كان كذلك يتعصب على الشعراء الاسلاميين ، ولا يرى الشعر الا للجاهليين ، وكان أشد الناس تسليما لهم .. لا يعد الشعر الا ما كان صادرا منهم . وقد قال عن المولدين : « ما كان من حسن فقد سبقوا اليه ، وما كان من قبيح فهو من عندهم » . وما سمع يحتج ببيت اسلامي ، فضلا عن أن يحتج بشعر المحدثين . وقال : « لو أدرك الأخطل يوما واحدا من الجاهلية ما قدّمت عليه أحدا . »

وتابعه في الازراء بالمحدثين ابن الاعرابي ، وأبو حاتم ، وأبو عبيدة . وكان المأمون يتعصب كذلك للأوائل من الشعراء ، ويقول : « انقضى الشعر مع ملك بني أمية » . وكان اسحاق الموصلي شديد العصبية للقدماء ، فطعن على أبي نواس ، وأبي تمام ، وأبي العتاهية ، ولم يعتد ببشار ، وكذلك كان زعيم مدرسة تنكر تغيير الغناء القديم .

ومثل ذلك التعصب للآداب القديمة موجود في الآداب الأوروبية ، فقد كان « هوراس » يرى أن أشعار الشعراء الاغريق هي النماذج التي يجب أن تدرّس ، وأن الشعر ينبغي أن ينظم كما كانوا ينظمونه . ونجد النقاد في أوربا في العصر الكلاسيكي ، جد مفتونين بالنماذج الاغريقية . وعصبة « أبي عمرو » ومدرسته على المحدثين والمولدين ظاهرة ، وسببها ميلهم الى شعر الغريب والمعاني ، في رأي الباقلاني ، أو حاجتهم الى الشاهد ، وقله ثقتهم بما يأتي به المولدون ، في رأي ابن رشيق .

وأما خلف الأحمر (١٨٢هـ) فينصف المحدثين ، ويفضل بعض نماذجهم على شعر الجاهليين ، فلامية مروان بن أبي حفصة أفضل عنده من لامية الأعشى . وكان لا يشق له غبار في النقد ، ولا يجري معه أحد في حلبته . وتابعه في انصافه للمحدثين ، الجاحظ ، وابن قتيبة ، والمبرد ، وابن المعتز ، وآراؤهم في ذلك معروفة .

ثم يجيء المحدثون من الشعراء من ذوي الثقافات الجديدة ، كأبي تمام ، وابن الرومي ، ويخرج شعرهم على عمود الشعر خروجا واضحا ، ويلتف حولهم شعراء الطبقة الثانية من المحدثين ، وقد تتلمذوا على شعراء الطبقة الأولى ، كبشار ، وأبي نواس ، وأبي العتاهية .

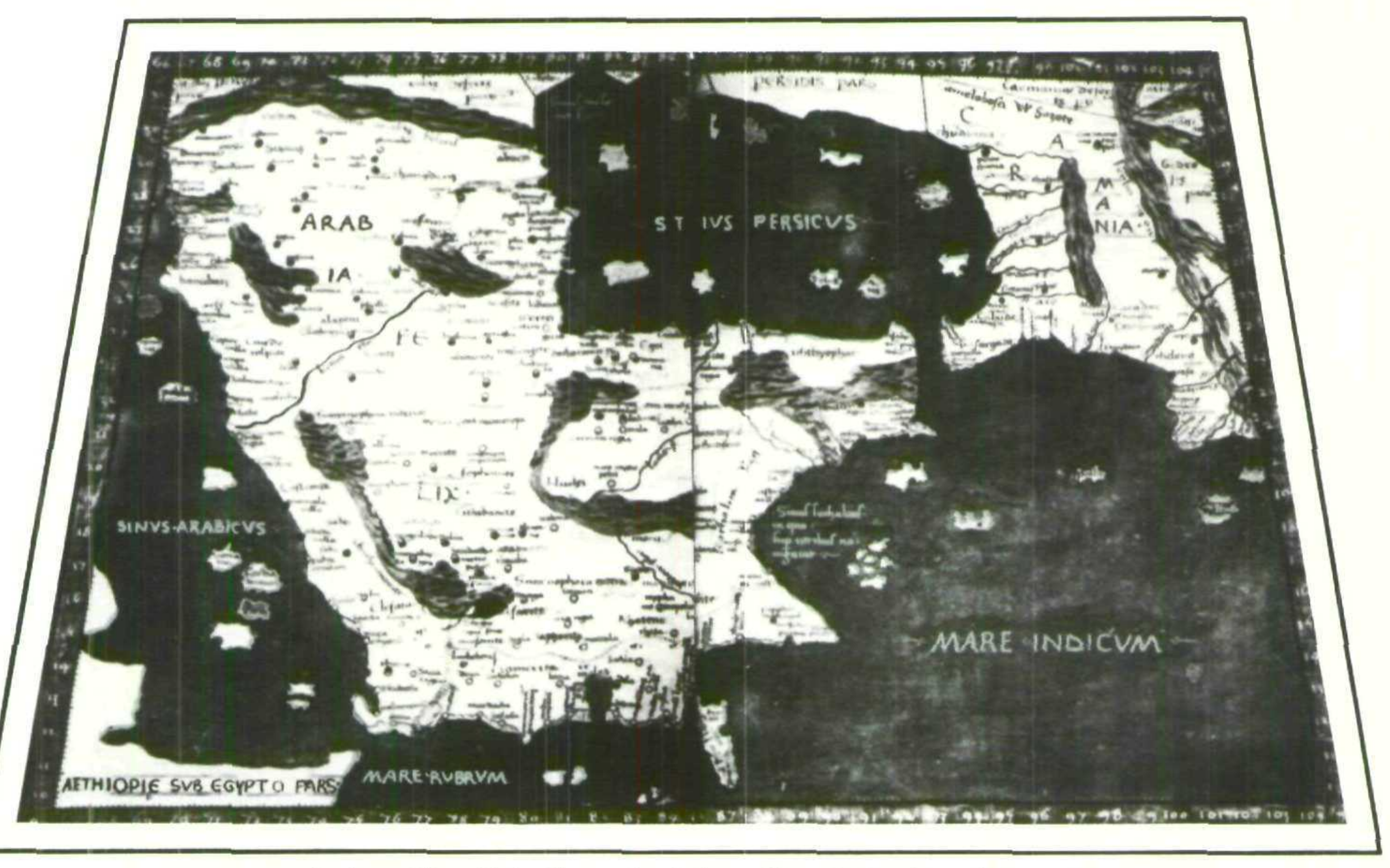
ويختلف النقاد فيهم اختلافا بينا ، فرمي أبو تمام بالخروج على عمود الشعر العربي . ومن حيث رفع كثير من النقاد من منزلة ابن الرومي الذي أعجب به المعاصرون كثيرا ، كطه حسين ، والعقاد ، والمازني ، فقد طرحه وغض من شعره آخرون ، كالقاضي الجرجاني صاحب كتاب « الوساطة » ، وأهمله أبو الفرج في كتابه « الأغاني » ، فلم يترجم له .

وعند هذا الحد يتضح لنا عمود الشعر ، وموقف النقاد في القرن الثاني الهجري وما بعده منه ، من بين متعصب على شعر المحدثين لخروجهم عليه ، ومنصف في حكمه على شعرهم لأنهم وان استجابوا لمقياس العمود الشعري ، يفهمونه على نحو أوسع .

ويجيء المعاصرون ، ويخرجون على الكلاسيكية القديمة والجديدة ، متحررين من الأوزان الموروثة موثرين الشعر الحر والمرسل ، ممعنين في الخروج على عمود الشعر العربي ونبذه واسقاطه ، فلعمود الشعر والقصيدة العمودية عندهم معنى آخر غير المعنى الذي قصده أرباب الشعر من الأقدمين ■

# مصادر المعرفة الجغرافية عند العرب

بقلم الدكتور نقولا زيادة




خارطة جغرافية للجزيرة العربية والبحر الأحمر والخليج العربي والمحيط الهندي كما رسمها بطليموس .

للعرب في البحوث والدراسات الجغرافية ، على تباين أنواعها ، باع طويل . وليس ذلك غريبا على جماعة انتشروا في رقعة من الأرض واسعة ، وحكموها قرونا طويلة ، واتصلوا بما كان فيها من الحضارات والثقافات ، واثروا بما قام فيها من علم ومعرفة . فكان من الطبيعي أن يجود العرب في فروع هذا العلم وتقصي أسبابه .

ونحن عندما نقرأ هذا الأدب الجغرافي الواسع الذي خلفه المؤلفون ، يتبادر الى أذهاننا سؤال هام : ترى ماذا كانت المصادر الأولى التي اتصل العرب بها باديء ذي بدء ؟ وهل تختلف مثلا عن المصادر المتعلقة بفروع المعرفة الأخرى ، كالطبيعة ، والرياضيات ، والفلسفة ، وما الى ذلك ؟

وليس الجواب على هذا السؤال يسيرا . ذلك لأن بعض هذه المصادر الأولى حجبها الزمن وغشى عليها ، بحيث يمكن أن نتقراها أشباحا دون أن نستطيع تبينها واضحة المعالم . وثمة من مصادر المعرفة الجغرافية ما اندمج بما أضيف اليه ، بحيث أصبح من المتعذر على الباحث أن يفصل بين الأمرين . ولكن مثل هذه الأمور لا يجوز أن تقعدنا عن توضيح ما يمكن توضيحه من المصادر التي أخذ عنها العرب أول الأمر .

واذا نحن تذكرنا أن العرب قبل الاسلام كانت لهم مشاركات في أشياء كثيرة ، حق علينا أن نبدأ في التعرف على ما علموه من شؤون ، كان لها بعض الأثر في تطور الجغرافية الرياضية ، أو الفلكية ان شئت ، فيما تلا من الأزمان . والمعرفة التي تحدرت الينا عن أيام الجاهلية قليلة جدا . ذلك بأن الأدب الجاهلي الذي وصل الينا قليل في كميته ، محدود في نوعيته ، لا يكشف الا عن القليل من علوم القوم . ولا تختلف الجغرافية عن غيرها في ذلك . ومع ذلك فنحن نعرف أن هؤلاء القوم ميزوا الكواكب الخمسة المتحيرة ، أي المتنقلة ، من النجوم الثوابت . والكواكب الخمسة التي ميزوها ، هي : الزهرة ، وعطارد ، وزحل ، والمشتري ، والمريخ ، وان كان الاثنان الأولان على لسانهم أيسر ، وفي أدبهم أوسع انتشارا . وكان العرب ،

على انهم أهل بادية كثيرو التنقل ، بحاجة الى معرفة الكواكب الثابتة الكبرى ومواقع طلوعها وغروبها ، لأنها كانت تعينهم في قطع الفيافي والقفار ليلا . فكانت هذه الدراري تعين القوافل ، كما كانت تعين الملاحين على عبور البحار في ظلام الليل البهيم . ومن هنا نجد عندهم أخبارا ، ولو انه كثيرا ما تعلوها مسحة الأسطورة ، عن الدبران والشعري والثريا .

**والقمر** كان عونا للعرب في حساباتهم وتجوالهم . فهم على حد قول ابن منظور : « أنسوا بالقمر لأنهم يجلسون فيه للسمر ، ويهديهم السبل في سرى الليل في السفر ، ويزيل عنهم وحشة الغاسق ، وينم عن المؤذي والطارق » . وبسبب هذا الاهتمام العملي بالقمر عينوا له منازله ، وهي ثمان وعشرون منزلة ، بالنسبة الى ثمانية وعشرين مجموعا من النجوم لتكون علامات لمسيره ، وبذلك تمكنوا من تحديد أيام الشهر القمري عدة وحسابا .

ومن هنا يمكن القول بأن معرفة العرب بالسماء كانت تعتمد الناحية العملية . ولكن لأن الذي وصلنا عن هؤلاء القوم قليل ، فلا يمكننا أن نجزم مثلا فيما اذا كانوا قد عرفوا البروج الاثني عشر الواقعة في فلك الشمس أم لم يتوصلوا الى ذلك .

وكان العرب حريصين على ملاحظة الطقس وتحديد فصول السنة ، لارتباط ذلك بالحياة الزراعية ، حيث كان ذلك متوفرا . ومن هنا نجد هذه العناية بالأنواء ، والربط بينها وبين المنازل الفلكية . والاهتمام بالأنواء لم يقتصر على المهتمين بالزراعة بل تعداه ، وربما الى درجة أكبر ، الى الملاحين . فقد كانت للعرب تجارة بحرية واسعة ، وكان من الضروري أن يستوثقوا من الأجواء والعواصف والرياح والأمطار ومواعيدها لتوقيت أسفارهم البحرية ، كما ان هؤلاء القوم تعرفوا الى الكثير من البلدان وجمعوا أخبار شعوبها وأحوالهم وأعمالهم . ولعلّ هذه كلها تضمنتها قصص وأساطير انتقلت من العرب الى المؤلفين اليونان والرومان الذين اتصلوا بهم أيام الجاهلية ، خاصة في السواحل ، فأصبحت جزءا من الأدب الكلاسيكي ، وضاعت آثارها بالنسبة الى العرب أنفسهم . وعلى كل فليس أدل على اهتمام العرب بالأنواء وما اليها من وجود نحو عشرين كتابا ، وضعت في العصور الاسلامية التالية ، تعالج هذه الموضوعات على انها ، في الغالب ، من فروع المعرفة الأدبية .

• • •

قبل العرب دعوة الرسول الكريم الى الاسلام ، واعتنقوه ، وخرجوا الى ديار الله الواسعة ، فامتلكوا منها الكثير . وهناك جابهتهم مشاكل كثيرة واتصلوا بحضارات منوعة . وقد حلوا المشاكل ، وفي مقدمتها ادارة هذا الملك الواسع ، وتنظيمه شرعا ، وترتيبه اقتصادا . وهذا شغل الأمويين في أكثر زمنهم ، فلم يتسع وقتهم للاشتغال بالعلم الا لماما . فلما قامت الخلافة العباسية وأنشئت بغداد عاصمة لها ، وتدفقت الثروة عليها ، أصبحت ، بالاضافة الى انها دار الملك والخلافة ، مركزا لتبادل الثقافات والحضارات . وفي فترة قصيرة ، تمتد من أواسط القرن الثاني للهجرة (الثامن للميلاد) الى أواخر القرن الثالث (التاسع) ، تعرف العرب الى تراث علمي فلسفي منطقي ضخم هو جماع ما عرفه الأقدمون من أهل الهند وفارس واليونان وبزنطية والسريان واليعاقبة والصابئة. وكان فيما وصل اليهم واتصلوا به المعرفة الجغرافية الرياضية من الهند وفارس واليونان ، اما رأسا أو بالواسطة . فما الذي أخذه العرب عن هؤلاء .

**يبدو** ان أول اهتمام العرب بالنجوم ، وبالجغرافية الرياضية تبعا لذلك ، جاء بسبب عنايتهم بالاحكاميات ، وارتباط ذلك بمعرفة الطالع وارتفاعات الكواكب عن الأفق . ونحن نعرف ان الخليفة المنصور كان في بلاطه اثنان من العارفين بالنجوم ، هما : « نوبخت » و « ما شاء الله » ، وهما اللذان عينا أحكام النجوم بالنسبة الى بناء بغداد . ولا يمكن ، بهذه المناسبة ، اقامة الطالع وقياس ارتفاع الكواكب الا باستعمال آلات لا بد انها وصلت الى بلاط العباسيين في وقت مبكر . وقد استخرج « نلينو » ان أول مسلم عمل اسطرلابا وألف فيه هو « الفزاري » من فلكيي المنصور ، وان كان لم يستطع أن يتأكد مما اذا كان الفزاري قد اعتمد كتبا يونانية أو سريانية لذلك .

والذي عليه الباحثون في تاريخ تطور المعرفة الفلكية والجغرافية الرياضية عند العرب هو انه في أيام الخليفة المنصور نقلت كتب هندية في علم الهيئة الى اللغة العربية . فقد وفد على المنصور جماعة من السند سنة ١٥٤ (٧٧١م) وكان فيهم رجل هندي ، اسمه « مانكا » فيما يرجح ، كان ماهرا في علم حركات الكواكب وسائر علم الفلك على مذهب أهل بلده . وكان « مانكا » يحمل معه رسالة في الفلك بجداولها . فكلف المنصور هذا الهندي أن يملي مختصرا للكتاب أولا ، ثم أمر أن يترجم . ويبدو ان الترجمة العربية التي تمت على يد الفزاري هي التي استقرت أصلا في حساب حركات الكواكب وما يتعلق بذلك من الأعمال . على انه حري بنا أن نؤكد على ان عمل الفزاري لم يكن ترجمة حرفية للكتاب ، بل هو اقتباس مع توسع . وقد عرف كتاب الفزاري ، بعد تحريفه عن اسمه الهندي الأصلي « براهما سفوطا سد هانت » ، باسم كتاب « السند هند » وأصبح مذهبا في الجغرافية الرياضية . ويبدو ان كتابا آخر أو كتبا أخرى اقتبسها يعقوب بن طارق عن مصادر هندية ، فيها كتاب السند هند وغيره ، ولكنها لم تصلنا . والاسم الذي ورد مرتبطا بيعقوب هو كتاب « تركيب الفلك » . ولنا أن نضيف كتابين آخرين عرفا طريقهما الى العرب اما رأسا ، أو بوساطة فارس ، وهما كتاب « الأركند » و « الأرجهبر » .

واذا أخذنا هذه الآثار الهندية التي وصلت الى العرب ، والتي أطلق عليها جملة « مذهب السند هند » ، وأردنا أن نلخص أثرها في تطور المعرفة الجغرافية الرياضية الأولى عند العرب ، وجدنا ان الأمور التي جاءت منها ، هي :

- كان تقليد السند هند ، أي المذهب الهندي ، يقول بأن تحركات الأجرام السماوية أساسها دورات زمانية طويلة الأبد . فقد كانت الشمس والقمر والكواكب مجتمعة على خط واحد في بداية العالم ، وانها سترجع الى المكان نفسه في نهايته . وهذه الحسابات ظهر أثرها في التنجيم عند العرب .
- ان نقطة الانطلاق في قياس الأطوال هي « قبة الأرض » ، أو « قبة الأرين » . وقبة الأرض كانت أصلا مكانا في جزيرة « لانكا » (سرنديب أو سيلان) . أما « الارين » ، المحرفة عن مكان اسمه أصلا « أجين » أو « أزين » ، ويقع في أواسط الهند تقريبا ، فلا ندري تماما كيف انتقلت الى هذا المكان في جزيرة سيلان . ولعلّ الأسطورة لها علاقة بهذا النقل . ثم تم امتزاج الأسطورة بالواقع ، فنقل قبة الأرض (قبة الأرين) الى مكان خيالي في المحيط الهندي بين جزيرة سيلان وشرق افريقية . ومن هنا وقعت أخطاء في قياس الأطوال بين حين وآخر .
- مما جاء مع المذهب الهندي هو ان الجزء المعمور من الأرض لا يتجاوز ربع الأرض ، أي انه يقع الى شمال خط الاستواء ، ويمتد تسعين درجة الى كل من جهتي قبة الأرض . والامتداد الغربي ينتهي الى جزر السعادة ، أو جزر الخالدات (جزر كناري) .

وكان للفرس أثر في نقل المعرفة الجغرافية الفلكية الى العرب . ويمكن القول اجمالا بأن ما جاء عن هذه الطريق يعكس المذهب الهندي . لكن ثمة ألفاظ فلكية فارسية وصلت الى العرب في ذلك الوقت . وكان ذلك بسبب ترجمة الزيج الفارسي ، المعروف باسم « زيج الشاه » . أو « زيج شهريار »، ومعناه زيج الملك . ومع ان الباحثين لم يعرفوا كتبا أو أزياجا أخرى ترجمت من الفارسية الى العربية ، فانه مما لا شك فيه ان بعض ما عرفه الفرس انتقل الى العرب بحكم الجوار والاتصال المستمرين . ويلفت « نلّينو » نظرنا الى ان تسرب بعض الأخطاء الى العرب في أمور النجوم وأحكامها سببه ما في الخط البهلوي من المبهمات المضلة .

ولعل أكبر ممثل لتأثير الفرس على العرب في المجال الفلكي هو أبو معشر المتوفى سنة ٢٧٢ (٨٨٦م) ، الذي اتخذ من زيج الشاه أساسا لجداوله . وقد وصفه حاجي خليفة بقوله ان زيج أبي معشر « مجلدٌ كبير ألفه على مذهب الفرس.. وقال ان أصح الأدوار أدوار هذه الفرقة . »

ويجـدر بنا ، اتماما لتوضيح الأثر الهندي الفـارسي في دنيا العرب في رحاب هـذه المعرفة ، أن نلفت نظر القارىء الى أمرين هامين : أولهما ، ان المعرفة التي انتقلت عن هذا الطريق كانت معرفة علمية ، والمصنفات التي نقلت كانت « عملية مقتصرة على منطوق القواعد وشرح استعمال الجداول خالية عن البراهين والعلل . » وقد تحتوي الجداول والأزياج على شروح ممزوجة بالكثير من الأساطير والقصص .

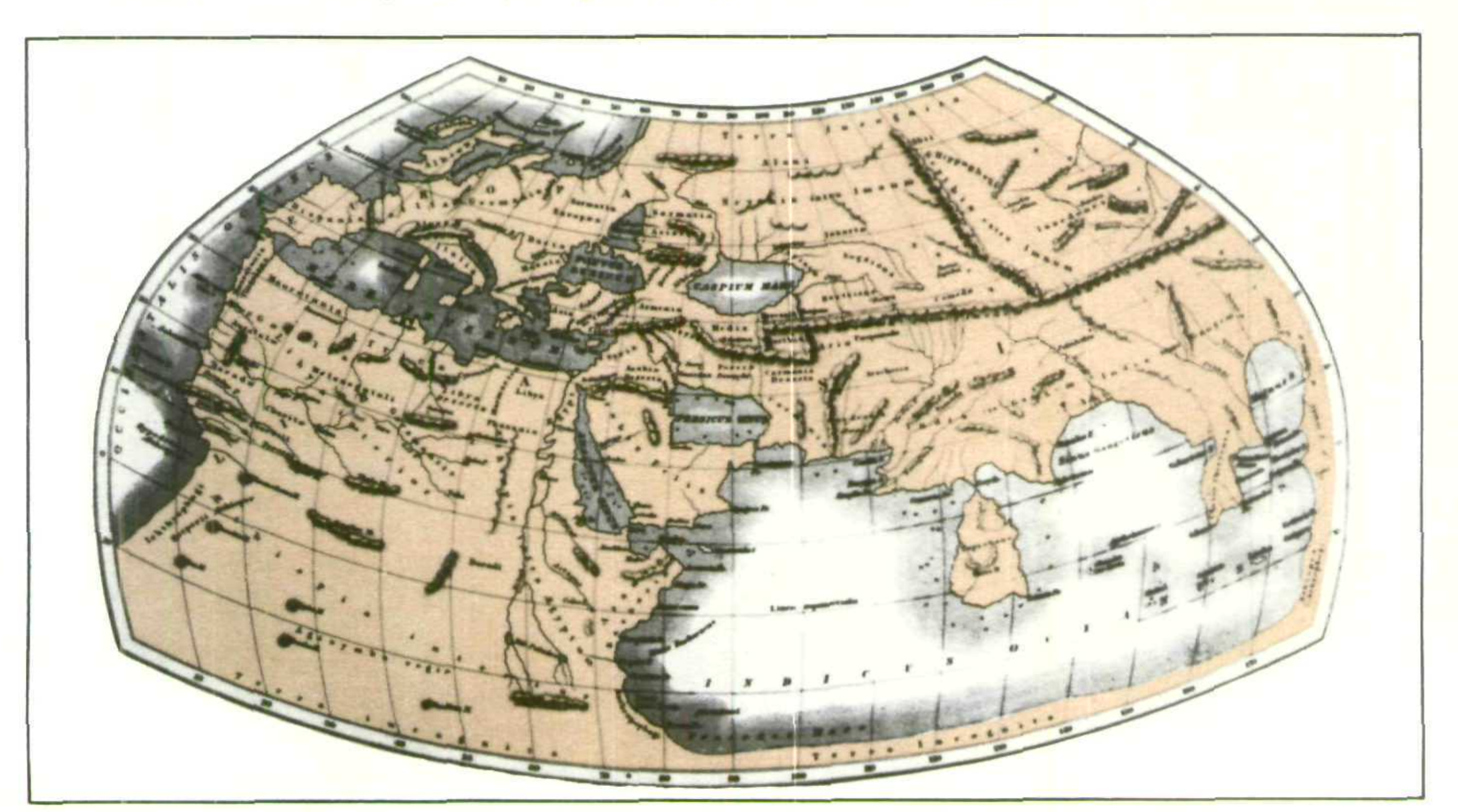
أما الأمر الثاني فهو ان المذهب الهندي الفارسي ، مع انه فقد مكانته الأولى بعد أن اتصل العرب باليونان ، فقد ظل له اتباع وأثر حتى القرنين الخامس والسادس (الحادي عشر والثاني عشر) لا في المشرق العربي فحسب ، ولكن في الأندلس وشمال افريقية .

° ° °

في القرن الثالث الهجري نشطت الترجمة من اليونانية الى العربية ، اما رأسا أو بطريق السريانية ، وهو الذي غلب بادىء ذي بدء . ومما لا يجب أن يغيب عن البال هو ان الترجمة في هذه الفترة كانت منتظمة تقوم بتشجيع من البلاط العباسي ، وتحت اشراف منظم في بيت الحكمة أو دار الحكمة . ولذلك لم تكن على نحو ما ترجم قبلا مقطعة تعتمد على الذوق الشخصي وحده . ثم ان الترجمة شملت فنون المعرفة وأنواع العلوم جميعها تقريبا ، وبذلك أتيح للعرب مجال المقارنة بين الأمور منطقيا وفلسفيا وطبيعيا ورياضيا.

ولعل عناية العرب بالرياضيات والفلك هي التي حولتهم نحو الجغرافية الرياضية ، دون الجغرافية الوصفية أو الاقليمية على كثرة ما كان عند اليونان منها . ومن هنا كان المصدر الرئيسي للغرب « بطليموس » وآراؤه . لكن قبل أن نعرض لهذا العالم وأثره نود أن نشير الى جغرافي آخر من أهل الثقافة اليونانية ، كان لبعض الجغرافيين اتصال به وهو « مارينـوس الصوري » الذي عاش في القرن الأول للميلاد ، أي قبل بطليموس بأقل من قرن . وقد ضاعت آثار مارينوس ، وجل ما نعرفه عنه جاء مما نقله عنه بطليموس لتبيان أخطائه وتفنيد أرائه . ولكن يبدو ان مارينوس كان قد نقل الى العربية بشكل ما . فقد ذكر المسعودي في كتاب « التنبيه والاشراف » كتاب « مارينوس » بشكل يدل على انه عرفه . قال :

وفي كتاب مارينوس ان مساحة هذه الأقاليم في الطول ثمانية وثلاثون ألفا وخمس مائة فرسخ في عرض ألف فرسخ وسبع مائة وخمسة وسبعين فرسخا ، وقد أنكر ذلك على مارينوس جماعة ممن تقدم وتأخر . قال المسعودي بين الأسلاف



خارطة للعالم مبنية على أساس خارطة بطليموس وقد رسمت في حوالي القرن الخامس عشر الميلادي .

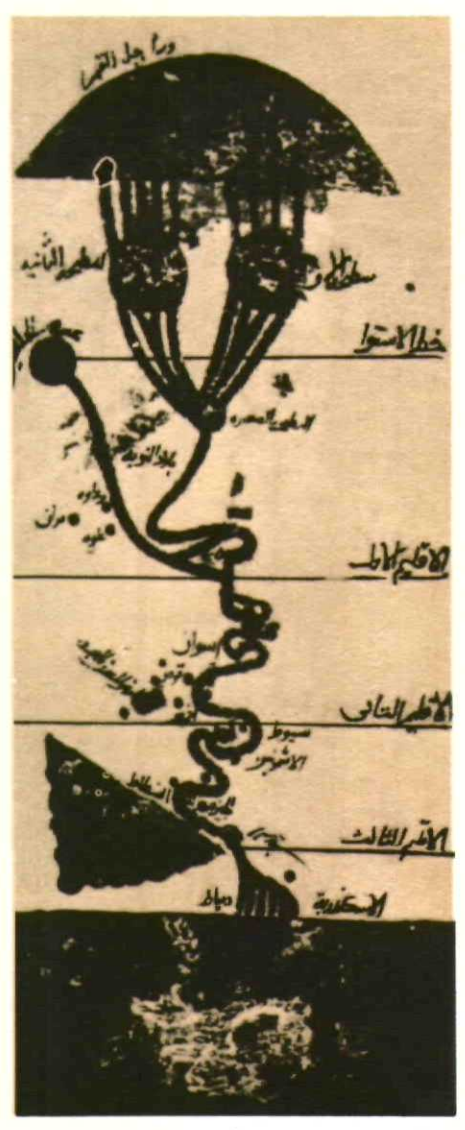
والأخلاف من حكماء الأمم في مقادير هذه الأقاليم السبعة وأطوالها وعروضها وعدد ساعاتها وابتدائها وغاياتها وما فيها من مساكن الأمم في البر والبحر تنازع كثير . وقد أتينا على شرح كثير من ذلك فيما تقدم من كتبنا . ورأيت هذه الأقاليم مصورة في غير كتاب بأنواع الأصباغ . وأحسن ما رأيت من ذلك في كتاب جغرافيا لمارينوس وتفسير جغرافيا قطع الأرض ، وفي الصورة المأمونية التي عملت للمأمون اجتمع على صنعتها عدة من حكماء أهل عصره صور فيها العالم بأفلاكه ونجومه وبره وبحره وعامره وغامره ومساكن الأمم والمدن وغير ذلك . وهي أحسن مما تقدمها من جغرافيا بطليموس وجغرافيا مارينوس وغيرهما .

لكن اليوناني الذي استطاع أن يترك أثره في المؤلفين العرب ، كما ترك أثره عندهم فيما بعد ، فهو « بطليموس » . ورغبة منا في أن نوضح الدور الذي قام به يترتب علينا أن نذكر بضعة أمور عن هذا الرجل .

عاش « بطليموس » في القرن الثاني للميلاد في الاسكندرية ، المدينة التي كانت لا تزال واحدا من مراكز العلم الكبرى في العالم القديم . وقد انتهت اليه جماع المعرفة ، على نحو ما كانت تنتهي الى غيره . واذا نظرنا اليه من ناحية الموضوع الذي نعالجه في هذه العجالة وجدنا انه كان فلكيا أكثر منه جغرافيا . فمصنفه المسمى « رسالة في الفلك أو الجامع » ، وهو الذي عرف بين العرب « بالمجسطي » ، فيه ثلاثة عشر كتابا ، ثلاثة أرباعها جداول فلكية ، وكتابه الكبير الثاني المعروف باسم « جغرافية » ، والمسمى « المدخل الى الجغرافية » ، هو في الواقع ارشادات لرسم خارطة صحيحة للأرض . وغاية بطليموس الأساسية في بحوثه كانت التحسين في رسم الخارطة ، وذلك بالقيام بقياسات صحيحة للأطوال والعروض . وقد اتخذ جزر الخالدات نقطة انطلاق لقياس الأطوال . وبطليموس كان يقسم الجزء المعمور من الأرض ، وهو ربع سطح الدنيا حسب الرأي السائد آنذاك ، الى سبعة أقاليم تبدأ من خط الاستواء وتتجه شمالا . اما جنوبي خط الاستواء فقد كان لا يصلح للسكنى بسبب اشتداد الحرارة فيه ، وشمالي الجزء المعمور لا يسكن لاشتداد البرد فيه .

يبدو ان العرب عرفوا نتفا من أراء جغرافيين قدامى وردت اليهم عن طريق المنجم « ما شاء الله » . لكن المعرفة العلمية جاءتهم عن طريق ترجمة بطليموس . وقد انتهى الينا في رواية ابن النديم صاحب « الفهرست » ان أبا يحيى البطريق نقل كتاب « الأربع مقالات » لبطليموس ، وهي في صناعة أحكام النجوم . الا ان العناية الخاصة التي لقيها مصنفا بطليموس المذكوران سابقا هي التي كانت مفتاحا لاهتمام العرب بالجغرافية الرياضية . فرسالته في الفلك ، وهي التي سارت بين العرب ، ثم منهم الى أوروبا في العصور الوسطى ، باسم « المجسطي » ، نقلت على ما يتضح من الدراسات التي تمت في العقود الأخيرة ثلاث مرات الى العربية . فقد عملت الترجمة الأولى ليحيى بن برمك قبل عام ١٨٧ (٨٠٣م) ، فقد روى ابن النديم ان جماعة فسروه ليحيى ، فلم يتقنوه ولم يرض عنهم . والمرجح ان هذه الترجمة نقلت عن السريانية . ومع انها أصلحت على يد أبي حسان وسلم صاحب بيت الحكمة فقد ظلت قليلة الأهمية . وفي عصر المأمون نقل « المجسطي » الى العربية على يد الحجاج بن يوسف بن مطر حوالي سنة ٢١٢ (٨٢٧–٨٢٨م) ، وقد وصلت الينا في بضع مخطوطات . ويبدو ان هذه تم نقلها عن السريانية أيضا . والترجمة الثالثة قام بها حنين بن اسحق ، وقام فيما بعد باصلاح ما فيها من أخطاء ثابت بن قرة الحراني .

اما كتاب « جغرافية » ، وهو الذي أراده بطليموس مرشدا الى اصلاح خريطة العالم ، فقد نقل الى العربية ثلاث مرات أيضا . وكانت الأولى قد عملت للفيلسوف العربي الكندي (المتوفى حول سنة ٢٦٠ (٨٧٤م) . وقد كانت ترجمة رديئة ، لذلك شك الكثيرون في ان يكون الكندي قد عمل هذه الترجمة بنفسه . فما كان لرجل مثل مكانته أن ينتج عنه شخصيا عمل رديء . والترجمة الثانية الجديدة هي التي صنعها ثابت بن قرة الحراني المتوفى سنة ٢٨٨ (٩٠١م) . ويشير « ابن خرداذبه » الى ترجمة ثالثة لعلها من صنعه هو نفسه ، اذ يشير اليها بقوله : « فوجدت بطليموس قد أبان الحدود وأوضح الحجة في صفتها بلغة أعجمية ، فنقلتها عن لغته باللغة الصحيحة . » ونعتقد ان ابن خرداذبه وقعت في يده الترجمة الأولى الرديئة التي عملت للكندي ، فأصلحها . واذن فتكون « جغرافية » قد ترجمت مرتين لا ثلاثا . وعلى كل فانه يتضح من هذا ما ناله بطليموس من عناية في دنيا العرب . ولذلك فلم يكن من المستغرب انه لا يكاد ينتصف القرن الثالث الهجري حتى تكون شمسه قد كسفت ، الى درجة كبيرة ، شمس المذهب الهندي



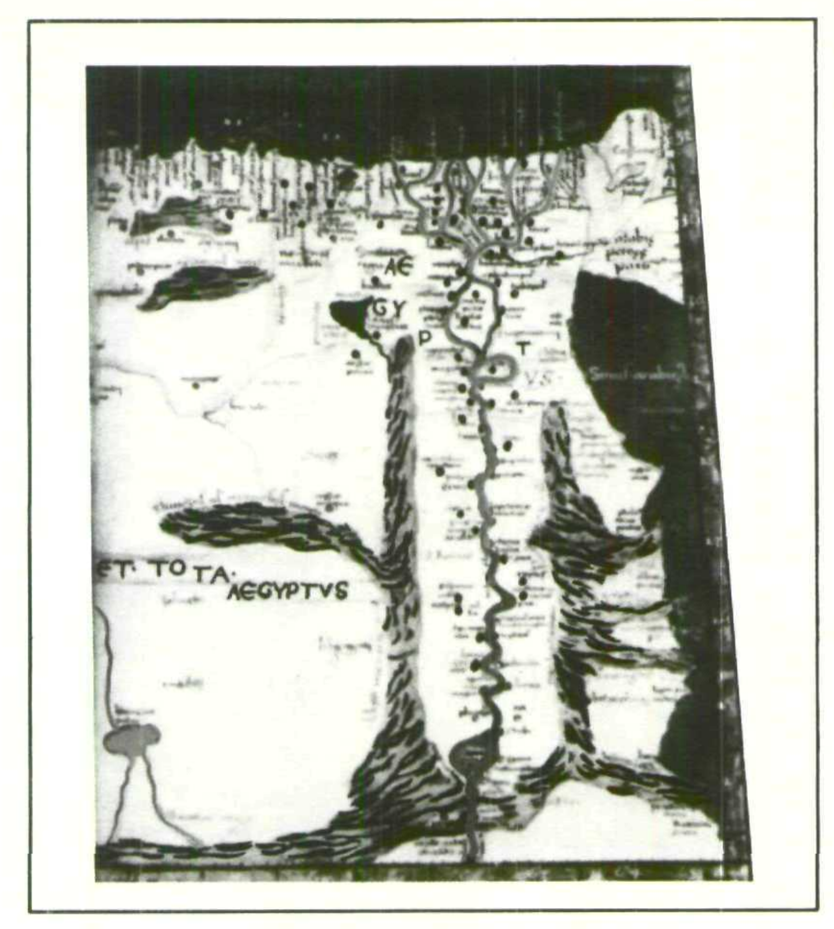
خارطة لمصر منقولة عن كتاب الخوارزمي « صورة الأرض » عام ٤٢٨هـ . ويلاحظ ان الشمال وضع أسفل الخارطة والجنوب أعلاها ، وهي الطريقة التي اعتاد عليها العرب الأقدمون .

« السند هند » ، وزحزحته عن مكانته ، مع انه لم يقض عليه نهائيا .

وفي الأدب الجغرافي العربي الرياضي أكثر من رسالة واحدة منسوبة الى بطليموس ، منها المقالات الأربع في حركات النجوم المذكورة قبلا ، ومنها زيج بطليموس ، ومنها الجداول الفلكية المبسطة ، والتي يرجح الباحثون اليوم انها من عمل « ثيون » من أهل القرن الرابع للميلاد ، وهو أحد شراح بطليموس .

يقول « نلّينو » في المقارنة بين أثر الهند والفرس من جهة واحدة ، وأثر اليونان من جهة ثانية ، في تطور الفلك والجغرافية الرياضية عند العرب ما يلي :

فاتضح مما بينته ان تأثير علماء الهند والفرس في نشأة ميل العرب الى ذلك العلم الجليل سبق تأثير اليونان ولو بزمان قليل . ولكن لم تنل العرب ما نالوا من التقانة والكمال والشهرة في ذلك الفن ولا ترقوا فيه ترقيا حقيقيا لو قصروا عنايتهم على نقل الكتب الموصوفة الى الآن (أي الكتب الهندية والفارسية) . لأنها وان قطعنا النظر عما يتعلق بمجرد صناعة أحكام النجوم كانت مصنفات عملية مقتصرة على منطوق القواعد وشرح استعمال الجداول خالية عن البراهين وبيان العلل . فالفلكي المكتفي بها لا يعلو عن رتبة المقلد .... فشروط التقدم في علم الهيئة اثنان : الأول التبحر في نظرياته مع بذل الجهد في نقدها واعتبار ما يستخرج من علوم أخرى رياضية وطبيعية وكيماوية ، والثاني المثابرة على الأرصاد واتقانها لأن الحركات السماوية لا يحاط بها معرفة مستقصاة حقيقية الا بتمادي العصور والتدقيق في الرصد . وحبذا ما قال البتاني في زيجه : « وان الذي يكون فيها من تقصير الانسان في طبيعته عن بلوغ حقائق الأشياء في الأفعال كما يبلغها في القوة يكون يسيرا غير محسوس عند الاجتهاد والتحرز ولا سيما في المدد الطوال . وقد يعين الطبع وتسعد الهمة وصدق النظر وأعمال الفكر والصبر على الأشياء وان عسر ادراكها . وقد يعوق عن كثير من ذلك قلة الصبر ومحبة الفخر والحظوة عند ملوك الناس بادراك ما لا يمكن ادراكه على الحقيقة في سرعة أو ادراك ما ليس في طبيعته أن يدركه أحد » . اما كتب الهند والفرس فكانت قاصرة عن مقتضيات العلم السامي سواء من حيث النظريات أم من جهة الأرصاد ، فقد احتاج العرب وقت نهضتهم العلمية الى ما يهديهم الى طرق البحث المستقصى في المسائل الفلكية ويوضح لهم كيف تثبت أصولها بالقياس والبراهين . وافتقروا الى كتب تحثهم على التفكر القائم والاعتبار الدائم وتحرضهم على الوصول الى معرفة علل الظواهر وتشوقهم الى علم الفلك لمجرد جلالته السنية من دون الاهتمام بمنافعه المادية . فلحسن حظهم انهم حصلوا على مثل تلك الكتب النفيسة ، أعني حصلوا على كتب اليونان ، منها أصول أقليدس التي علمتهم الطريقة الحقيقية المدققة في وضع البراهين الهندسية ، والمجسطي لبطليموس الذي عرفهم بتطبيق تلك البراهين على بيان الحركات السماوية ووضح كيفية الأرصاد ووجوب المداومة عليها . لأن بطليموس كما قال البتاني قد تقصى علم الفلك



خارطة لمصر وضعها بطليموس خلال القرن الثاني الميلادي .

مسطرة الطول مقسومة بمائة وثمانين

ى ك ل م ن س ع ف ص ض ف ع س ن م ل ك ى

أفق الجنوب

أفق المشرق

أفق المغرب

خط الاستواء

الاقليم الأول

الاقليم الثاني

الاقليم الثالث

الاقليم الرابع

الاقليم الخامس

الاقليم السادس

الاقليم السابع

نهاية العمارة

مسطرة العرض مقسومة بمائة وعشرة

مسطرة العرض مقسومة بمائة وعشرة

نموذج للتربيعة المستطيلة التي اقترحها سهراب أساسا لتعيين خطوط الطول والعرض لمواقع البلدان الجغرافية .

من وجوهه ودل على العلل والأسباب العارضة فيه بالبرهان الهندسي والعددي الذي لا تدفع صحته ولا يشك في حقيقته فأمر بالمحنة والاعتبار بعده ، وذكر انه قد يجوز أن يستدرك عليه في أرصاده على طول الزمان ، كما استدرك هو على « ابرخص » وغيره من نظرائه لجلالة الصناعة ولأنها سمائية جسمية لا تدرك الا بالتقريب .

° ° °

وهكذا فقد تم للعرب حتى نهاية القرن الثالث الهجري الاطلاع على ما كان عند القدامى من المعرفة ، وهضم هذه المعرفة تمهيدا للقيام بدورهم المجيد في مجال الجغرافية الرياضية . ونود في ختام هذا المقال أن نتحدث عن اثنين من المصنفين العرب اللذين كان لبطليموس ، بشكل خاص ، أثر مباشر في عملهما ، لأنهما ، في رأي الكثيرين من الباحثين ، هما حلقة الوصل بين القدماء والمؤلفين العرب . وهذان هما : « الخوارزمي » و « شهراب » .

والاسم الأول الذي يطالعنا هو محمد بن موسى الخوارزمي الذي وضع كتابه « صورة الأرض » عقب وفاة المأمون . ولأن الرجل كان يغلب لديه الفلك والرياضيات على الجغرافية ، فقد جعل كتابه على هيئة زيج ، أي جداول فلكية . والسؤال الذي يتبادر الى الذهن هو : ما هي العلاقة بين كتاب الخوارزمي ومصنفات بطليموس ؟ وقبل الاجابة عن هذا السؤال يترتب علينا أن نتذكر انه في أيام المأمون بني مرصدان ، الواحد في حي « الشماسية » ببغداد والآخر في « جبل قاسيون » بدمشق ، وان المشتغلين بالرصد في هذين المكانين كانوا قد توصلوا الى نتائج هامة من حيث قياس عرض عدد من الأماكن على يد أبناء موسى بن شاكر (محمد ، وأحمد ، والحسن) وسند بن علي ، وغيرهم ، وهي القياسات التي تضمنها « الزيج المأموني » على ما وصل الينا من رسالة « الفرغاني » . والأمر الثاني هو أن هؤلاء الفلكيين قاسوا ، بطلب من المأمون ، خط الهاجرة ، ومن ثم وصلوا الى معرفة طول محيط الأرض بدقة كبيرة .

ونعود الآن الى « صورة الأرض » للخوارزمي وعلاقة الكتاب ببطليموس . وقد كان يحسب من قبل ان الخوارزمي أضاف ترجمة أخرى الى ترجمات المدخل الى « الجغرافية » . ولكن البحث الحديث حول الموضوع أظهر ان « صورة الأرض » هو مادة بطليموس منظمة مرتبة بشكل جديد مع اضافات لها . وقد فقدت المقدمة أصلا ، لذلك لا يمكن الحكم على رأي الخوارزمي العام في الكون والأرض . ولكن زيجه ، أي جداوله الفلكية ، تحتوي على ٥٣٧ موضعا مبينة أطوالها وعروضها ، وهي واردة في جداول أربعة : المدن ، والجبال ، والجزر ، يلي ذلك جدول للأنهار . وكل واحد من هذه الجداول ترد فيه هذه المواضع في أقاليمها الخاصة بها . والأقاليم هي الأقاليم البطليموسية مع تعديل طفيف . لكن الترتيب ، فضلا عما فيه من الزيادة ، فانه مغاير للمقالات « ٢ – ٧ » من عمل بطليموس . ويتفق الخوارزمي في الرأي القائل بأن الجزء المعمور من الأرض هو ربعها ، لكنه يوسعه قليلا الى الجنوب في شرق افريقية والحبشة ، لأن معرفة العرب بهذه المناطق اتسعت بسبب أسفارهم ومتاجرهم معها . ومع أن الخوارزمي يقبل برأي بطليموس القائل بأن منطلق خط الطول هو جزائر الخالدات ، فانه يرتضي مذهب السند هند بأن خط منتصف النهار يمر بالأرين .

الى هذا كله ففي خرط الخوارزمي اصالة وابتكار . فهو لا يرسم ، أو على الأقل لم تصل الينا ، خارطة للعالم ، لكنه يرسم خارطة توضيحية للنيل ، هي قريبة مما عرف عن هذا النهر فيما بعد .

وقد كان للخوارزمي معاصر هو « الكندي » الفيلسوف المتوفى سنة ٢٦٠ (٨٧٤م) . ومن المعروف ان الكندي حصل على ترجمة لجغرافية بطليموس ، لكنه لم يكتف بذلك ، بل وضع هو نفسه كتابا أو رسالة باسم « رسم المعمور من الأرض » . لكن هذا المصنف فقد كلية ، ولولا ان ذكره المسعودي ما كنا عرفنا حتى اسمه .

لكن المؤلف الذي تأثر على ما يبدو بالخوارزمي هو « سهراب » صاحب « كتاب الأقاليم السبعة » . وهذا الكتاب يكمل عمل الخوارزمي ، ويضيف الى الجغرافية الرياضية أمورا كثيرة . ومذهب سهراب هو المذهب اليوناني اجمالا . ومقدمة كتابه فيها تفصيل للآراء المتعلقة بالأرض يوضحها وهو يرشد القارىء الى كيفية صنع صورة للأرض ، على نحو ما نقرأ في العبارة التالية :

قال جامعه أفقر الورى سهراب فاذا أردت أدام الله كرامتك أن تبتدي بعمل ذلك في بسيط مربع فليكن حسب ما أحببت ، وكلما اتسع كان أحسن وأبين ، ويكون عرضه مثل نصف طوله ، وربعه تربيعا صحيحا لا زلل فيه . فاذا فعلت ذلك فاعمد الى أربعة حواشيه فاستخرج في كل حاشية منها ثلثة خطوط المسطرة المقسومة فيكون خطان يقع بينهما بيوت الأخماس والثالث يلحق به الأجزاء ، فاذا فعلت ذلك بأربعة جوانبه فقد خططت المساطر الأربع واحتجت الى قسمتها ان شاء الله تعالى . ثم أعمد الى مسطرتي الطول فاقسم كل واحدة منها بمائة وثمنين جزءا قسمة صحيحة ، وأقسم أيضا مسطرتي العرض بمائة وعشرة أجزاء قسمة صحيحة ، واحذر الزلل . وانما قلت لك أقسم العرض بمائة وعشرة ليخرج لك البحر الجنوبي بأسره والبحر المظلم وجميع ما وراء خط الاستواء من المدن والجبال والعيون وغير ذلك ، ولا تكتب في بيوت الخمسات بحروف الجمل في هذا الوقت ، وأنا أعرفك في أي وقت تكتبه ان شاء الله تعالى . ثم أعمد الى احدى مسطرتي الطول فوقع عند وسطها أفق الجنوب وفي وسط المسطرة الأخرى التي بازائها أفق الشمال ، واعلم انك اذا وضعت مسطرة الجنوب بين يديك كانت المسطرة اليمنى من العرض هي مسطرة المشرق فوقع عليها أفق المشرق وعلى الأخرى التي بازائها وهي اليسرى أفق المغرب ، فتكون قد فرغت من الآفاق الأربعة وصح لك التربيع كله ان شاء الله تعالى . ثم أعمد الى مسطرتي العرض فعد منهما تسعين جزءا وأبدأ بالعدد من أفق الشمال نحو الجنوب فاذا أخذت منها تسعين جزءا فاخرج من رأس التسعين من مسطرتي العرض خطا موازيا بمسطرة الجنوب على زاوية قائمة واكتب على هذا الخط (خط)أ الاستواء ، ومن هذا (الخط)ب الى أفق الشمال تسعين جزءا ، ومن هذا الخط الى أفق الجنوب عشرين جزءا ، فاذا فعلت ذلك فوقع الآن في بيوت الأخماس بحروف الجمل وابدأ بالكتاب من خط الاستواء الى أفق الشمال حتى يقع بيت التسعين مع أفق الشمال من الجهتين جميعا ، ثم اكتب من خط الاستواء الى أفق الجنوب بحروف الحساب حتى يقع بيت العشرين مع أفق الجنوب من الجهتين جميعا . فاذا فرغت من ذلك احتجت أن تستخرج الأقاليم السبعة .

وواضح أن سهراب كان يكتب بنثر علمي رفيع المستوى واضح الأسلوب . يضاف الى ذلك ان سهراب قد أضاف مادة مستقاة من مصادر عربية لعل غالبها كان تقارير رسمية عن نواح من المملكة الاسلامية ، مثل وصف المؤلف لشبكة قنوات بغداد ووصفه لدلتا النيل . ولعلنا نلمح هنا ، ولو بشكل محدود ، بدء العناية بالمناطق الخاصة ، مما أدى الى قيام « الجغرافية الوصفية » ■

# بطولة الكلمة

بقلم الدكتور احمد الشرباصي

«البطولة» كما عرفها اللغويون هي الشجاعة الفائقة ، والبطل هو الشجاع المقدام ، وسمي بذلك لأن الأشداء يبطلون عنده ، فلا يغلبونه ، أو لأن دماء الأقران تبطل عنده فلا يكون لها ثأر . والبطولة ألوان ، فهناك من البطولة شجاعة الميدان والصراع ، وشجاعة الايمان بالمبدأ أو الثبات عليه ، وشجاعة الجهر بالحق والدعوة اليه ، وشجاعة النفس والتحكم في أهوائها ، وغير ذلك .

و « الكلمة » هي المنطق المفهم ، ولذلك قال ابن مالك في ألفيته : « كلامنا لفظ مفيد .. » وقد تكون الكلمة اسما أو فعلا أو حرفا أو جملة أو خطبة أو مقالا أو غير ذلك ، ولذلك عاد ابن مالك يقول : « وكلمة بها كلام قد يؤم » .

ولو لم يقل السابقون في تعريف الانسان انه كائن حي ناطق (بمعنى مفكر) لقلت ان الانسان كائن حي مبين ، ولأغنتنا كلمة « مبين » عن كلمة « ناطق » بمعنى مفكر ، لأن البيان يعد كجزء من ماهية الانسان وحقيقته ، والانسان لا يبين الا عن شيء قد عرفه وفكر فيه ، فكأن البيان تعبير يستلزم التفكير .

ولقد كانت معرفة اللغة أمرا جليلا في حياة الانسان ، وحينما عرف اللسان البيان أصبح آلة لا يستهان بها . فقد احتدمت في نفس الانسان الخواطر والمشاعر ، وثارت في عقله الأفكار والآراء . وكان يعيى بحملها أو طيها ، لولا اللسان الذي جاء معبرا ومصورا ، ونقل هذه الطاقات الفكرية والشعورية الى الآخرين عن طريق الكلام والاستماع .

وهذا هو « غوستاف لوبون » يشير في كتابه « الآراء والمعتقدات » الى أن الألفاظ والصيغ الكلامية من أكثر العوامل توليدا للآراء والمعتقدات، وفيها قدرة كبيرة ناشئة عن أنها توقظ في الانسان مشاعر دالة عليها ، وهي من أقوى الوسائل في سريان الآراء وانتشار الأفكار ، وتكوين الرأي العام .

وقديما عرف أجدادنا العرب مكانة الكلمة ، فقالوا — فيما يروي الميداني في « مجمع الأمثال » « ما الانسان لولا اللسان الا صورة ممثلة ، أو بهيمة مهملة » . وانما يندفع الانسان الى هذا العمل أو ذاك بارادة تنبعث فيه . وهذه الارادة ، كما ذكر علماء النفس ، تنشأ عن حالة وجدانية تعتريه ، فتهيء نفسه وحسه للاقبال أو الادبار ، وللميامنة أو المياسرة . وهذه الحالة الوجدانية تحركها وتثيرها الكلمة ، لأن الكلمة تلقى في الذهن والنفس ارتسامات ذهنية وشعورية تؤثر وتحرك وتدفع .

والانسان السوي لا يستطيع الاستغناء عن الكلام والبيان والتفسير ، ولذلك كانت الحاجة الى البيان كالحاجة الى الاعتقاد ، فهي حاجة تلازم الانسان من مهده الى لحده .

واذا كان للبطولات ألوان وأنواع ، كما عرفنا من قبل ، فان للكلمة في مجالات البطولة مكانة ومنزلة . والرسول عليه الصلاة والسلام يشير الى ذلك ، حين يقول : « المؤمن يجاهد بلسانه وسيفه » ، وحين يقول : « أفضل الجهاد كلمة حق عند امام جائر » .

ومن أمثال العرب هذه الكلمات النوابغ :

« رب قول أشد من صول » ، و « القول ينفذ ما لا تنفذ الابر » ، و « طعن اللسان كوخز السنان » ، و « جرح اللسان كجرح اليد » .

ومن عجيب الاشتقاق اللغوي أن مادة « الكلم » — بفتح فسكون — تفيد معنى التأثير الواضح ، ثم تشتق منها « الكلمة » ذات التأثير المعنوي ، ويشتق منها لفظ « الكلم » — بفتح فسكون — بمعنى الجراحة التي يظهر أثرها . واذا كانت الحرب قد تقوم بسبب كلمة ، حتى قال الأولون : « فان الحرب أولها كلام » ، فان الكلمة البطلة قد تشفي جراحا ، وتنهي حروبا . ولذلك ورد في تعابير العرب قولهم : « جاء بمراهم الكلام من أطايب الكلام » وكلمة « الكلام » الأولى بكسر الكاف أي الجراح ، وكلمة « الكلام » الأخرى بفتح الكاف أي الحديث .

ولقد روى « كارليل » في كتابه « الأبطال » أن « ريشتار » قال عن « مارتن لوثر » : لقد كانت كل كلمة من كلماته موقعة حربية » .

ولعل أبا تمام حبيب بن أوس الطائي قد ترجم عن هذا المعنى من قبل ، حين تحدث عن تأثير القلم الذي يخط الكلمات وهو بين الأصابع الخمس ، قال :

**اذا ما امتطى الخمس اللطاف ، وأفرغت**
**عليه شعاب الفكر وهي حوافل**
**أطاعته أطراف القنا ، وتقوضت**
**لنجواه — تقويض الخيام — الجحافل**

بل قد تكون بطولة الكلمة أقوى وأبقى من بطولة الحس أو السيف أو الميدان ، لأن بطولة الكلمة تتطلب عقلا وعزما وارادة ووفاء بحقها ، على حين لا تحتاج البطولات الحسية الا الى صلابة الجسم وجراءة الاندفاع . والمعنويات والمعقولات أعمق وأبقى من الحسيات ، بل ان الماديات يحسها الانسان أولا ، ثم يتحول الاحساس بها الى صورة عقلية أو معنوية . وقد تختفي هذه الماديات وتبقى صورها الى أمد بعيد ، ويمكن نقل صورها من العقل الى الحس بوساطة الكلمة .

**وهذه** – مثلا – بطولة عنترة الحسية ، لقد انتهت ونحن لا نراها الآن ، ولكن الكلمة مكنت لهذه البطولة ، وأوثقت حبالها ، وأبقت ذكرها ، فنحن نرى بطولة عنترة من خلال كلماته التي بقيت من بعده ، كقوله :

**بكرت تخوفني الحتوف كأنني ... أصبحت عن غرض الحتوف بمعزل**

**فأجبتها : ان المنية منهل ... لا بد أن أسقى بذاك المنهل**

**فاقني حياءك لا أبالك ، واعلمي ... أني امرؤ سأموت ان لم أقتل**

وقوله :

**ولقد ذكرتك والرماح نواهل ... مني ، وبيض الهند تقطر من دمي**

**فوددت تقبيل السيوف لأنها ... لمعت كبارق ثغرك المتبسم !**

وسيف الدولة بن حمدان كانت له بطولة ميدان ، ولكنها انتهت من حيث المادة والكيان . وبقيت مخلدة في بطولة الكلمة وقوة البيان . بقيت في مثل قول المتنبي يخاطب سيف الدولة :

**وقفت وما في الموت شك لواقف ... كأنك في جفن الردى وهو نائم**

**تمر بك الأبطال كلمى هزيمة ... ووجهك وضاح وثغرك باسم**

ونحن لا يغيب عن أذهاننا بيت الحطيئة في بني « أنف الناقة » يمدحهم :

**قوم هم الأنف ، والأذناب غيرهم ... ومن يسوى بأنف الناقة الذنبا ؟ !**

ولقد كان لهذا البيت بطولة مأثورة مشهورة ، فقد رفع الحطيئة بهذا البيت بني أنف الناقة من ذل الخجل والاستحياء من اسمهم ، الى عز الافتخار والازدهاء ، حتى صاروا يتطاولون بهذا الأسم ويملأون أنوفهم به ، يمدون أصواتهم فيه بجهارة ، كما جاء في كتاب « سلاح الشعر » .

وهذا حسان بن ثابت يرينا كيف تكون الكلمة بطلة تنزل الصغار والعاربيين « عبد المدان » حين يقول ذاما لهم لطول قاماتهم التي فاخروا بها :

**لا بأس بالقوم من طول ومن قصر ... جسم البغال وأحلام العصافير**

فأصابهم بسبب ذلك هم وخزي ، وسعوا اليه يطلبون رضاه ، فقال لهم : « سأصلح منكم ما أفسدت » ، ثم أنشد فيهم قوله :

**وقد كنا نقول اذا رأينا ... لذي جسم يعد وذى بيان :**

**كأنك أيها المعطى بيانا ... وجسما من بني « عبد المدان »**

فعاد الذل عزا ورجع الخزي فخرا وزهوا (١)

ومن بطولة الشعر – وعمدته الكلمة – هذه الجاذبية الآسرة فيه لألباب الناس ، حتى نرى أبا السائب المخزومي – على شرفه وجلاله وفضله في الدين والعلم – يقول ، كما يروي ابن رشيق في « العمدة » : « أما والله لو كان الشعر محرما لوردنا الرحبة كل يوم مرارا » . والرحبة هي الموضع الذي تقام فيه الحدود .. يريد أنه لا يستطيع الصبر عن الشعر ، فهو يقام عليه الحد كل يوم مرارا ولا يتركه ! .

ولما في الشعر من بطولة نرى الزبير بن بكار يقول : سمعت العمري يقول : « رووا أولادكم الشعر ، فانه يحل عقدة اللسان ، ويشجع قلب الجبان ، ويطلق يد البخيل ، ويحض على الخلق الجميل » .

**ولقد** تأثر السابقون بالكلمة البطلة حتى كادوا يستغنون بها عن الطعام والشراب. وهذا رجل يدخل على هشام بن عبدالملك ، كما يروي الحصري في « زهر الآداب » ، فيقول له : يا أمير المؤمنين ، احفظ عني أربع كلمات فيهن صلاح ملكك ، واستقامة رعيتك . قال هشام : وما هن ؟

فقال الرجل : لا تعد عدة لا تثق من نفسك بانجازها ، ولا يغرنك المرتقى وان كان سهلا اذا كان المنحدر وعرا ، واعلم أن للأعمال جزاء فاتق العواقب ، وأن للأمور بغتات فكن منها على حذر .

قال عيسى بن دأب : فحدثت بهذا الحديث « المهدي » ، وفي يده لقمة قد رفعها الى فيه ، فأمسكها ، وقال : ويحك ، أعد عليّ . فقلت : يا أمير المؤمنين ، أسغ لقمتك . قال : حديثك أحب اليّ !

وحينما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان من البيان لسحرا » أراد أن ينوه بقوة الكلمة وشجاعتها ، لأن البيان كلام تبنيه كلمة وكلمة ، والسحر هنا هو تلك القوة الخفية التي تؤثر وتسيطر ، وتحرض وتدفع ، ولا يستطيع المقهور بها حيلة أمامها ولا وسيلة ، والنبي الكريم يشبه الكلام بالسحر لحدة عمل الكلام في نفس سامعه ، وسرعة قبول القلب له .

° ° °

وفي تاريخ البيان العربي كلمات نوابغ توافرت لها صفة البطولة ، فكأن كلا منها فارس مقدام كسب حربا ، أو هزم عدوا ، أو حقق نصرا . وفي طليعة هذه الكلمات عبارات نبوية كريمة قامت مقام السلاح والجند ، ومنها قوله صلوات الله وسلامه عليه : « والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه » . كانت هذه الكلمة صاحبة بطولة فائقة ، أنهت معركة طال فيها النزاع والصدام ، فقد تفنن المشركون في ايذاء النبي الكريم ، وعرضوا عليه ما عرضوا من مغريات ، ثم أبدوا ما أبدوا من تهديدات ، ثم سعوا الى عمه مرة ومرات ، وفي هذه المرة كاد عمه يستجيب لبعض ما أراده المشركون من التضييق على دعوة محمد ، ويحاور العمّ ابن أخيه في ذلك ، لعله يخفف من اجتهاده في دعوته ، فيرسلها محمد عليه الصلاة والسلام كلمة تدوي في أذن الدنيا ومسامع أهليها ، فاذا هي تنهي الحرب ، وتحسم النزاع ، وتكسب النصر . ويكون العم – وهو على غير دين محمد – أول المأسورين بهذه الكلمة البطلة ، فيرجع عما هم به ، ويقول للرسول العظيم : « اذهب يا ابن أخي فقل ما شئت ، وادع ما شئت ، فوالله لا أسلمك اليهم أبدا » .

وتحققت بطولة الكلمة ، وظلت على مدى الأيام توحي بمعاني البطولة ! ..

**وهنا** رسول الله صلوات الله وسلامه عليه يحويه الغار مع صاحبه أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، والمشركون على قدم وساق ، يغربلون رمال الصحراء بحثا عن محمد ، ويبلغون في تفتيشهم باب الغار ، ولو نظر واحد منهم الى موطىء قدميه لرأى المهاجرين العظيمين . ويخاف أبو بكر على الدعوة والداعية ، فيقول لرائده وقائده : يا رسول الله ، لو ان أحدهم نظر الى موضع قدميه لرآنا . وهنا تنطلق الكلمة البطلة من فم الرسول الكريم ، فيقول : « يا أبا بكر ،

(١) في كتاب « سلاح الشعر » نماذج كثيرة لبطولات شعرية .

**ما ظنك باثنين الله ثالثهما ، يا أبا بكر ، لا تحزن ان الله معنا . »**

وتعمل الكلمة البطلة عملها ، فيزول الخوف عن أبي بكر ، وتقبل عليه السكينة ، ويزداد الرسول سكينة على سكينته الدائمة ، ويخلد القرآن الكريم هذا ، حيث يقول : **« الا تنصروه فقد نصره الله ، اذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين ، اذ هما في الغار ، اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا ، فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها ، وجعل كلمة الذين كفروا السفلى ، وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم . »**

**ومن** هذا القبيل الكلمة البطلة التي قالها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد كان جالسا بين صحابته ، فمرت عليهم جنازة ، فأمرهم بالوقوف لها ، فتمتم بعضهم بأنها جنازة لغير مسلم . وهنا قال عليه الصلاة والسلام : « اليست نفسا » ؟ ! . فكانت هذه الكلمة تكريما للبشرية وتقديرا للانسانية ، واعطاء للنفس في حالة الموت تلك الحرمة المرعية ، وكلما هم باغ أو طاغ أن ينال من هذه الحرمة دوّى في مسمعه قول الرسول العظيم « أليست نفسا » ؟ ! »

وقل مثل هذا أو نحوه عن موقف الرسول النبيل يوم فتح مكة ، حين قال للمشركين الأعداء الذين فعلوا معه الأفاعيل ، وارتكبوا في حقه كل تطاول ، وقد أصبح اليوم قادرا عليهم ، متمكنا منهم : « ما ترون أني فاعل بكم ؟ » قالوا : خيرا ، أخ كريم وابن أخ كريم ، فأرسل الرسول كلمته البطلة قائلا : « اذهبوا فأنتم الطلقاء . »

وكانت هذه الكلمة سببا قويا في دخول الناس في دين الله أفواجا ، وتحقق النصر ، وتجلى الفوز ، ونزل قول الحق : **« اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا . »**

* * *

ومن وراء الرسول يظهر لنا أبو بكر ، ونراه في أول عهده بالخلافة يشهد أكبر فتنة يتعرض لها المجتمع الاسلامي ، وتتمثل في حركة « الردة » . ويعتزم أبو بكر مقاتلة المرتدين لأنهم منعوا الزكاة ، وهي حق الله ، ويخشى كثير من المسلمين التعرض لهذه الحرب ، حتى ان عمر بن الخطاب نفسه كان من الذين ترددوا في قبول فكرة الحرب أول الأمر ، ولكن أبا بكر هتف بكلمته البطلة : « والله لو منعوني عقال بعير كانوا يؤدونه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عليه حتى يؤدوه ، ولأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة » .

وفعلت الكلمة البطلة فعلها ، وأثرت أثرها ، ودار حوار قصير بين أبي بكر وعمر ، انشرح عقبه صدر عمر كما انشرح له صدر أبي بكر ، وبدأت حروب الردة ، وصدق المسلمون فيها العزم ، فقضت على الفتنة ، وأعادت للمجتمع الاسلامي السكينة ، بفضل الله وحده ، ثم بسبب هذه الكلمة البطلة التي صدع بها أبو بكر رضوان الله عليه .

**وكائن** ببطولة خالد بن الوليد أو عبقريته في الميادين قد فجرتها كلمتان بطلتان ، احداهما جرت على لسان النبوة ، حين قال عليه الصلاة والسلام : « خالد سيف من سيوف الله سله الله على المشركين » والأخرى جرت على لسان صاحبه أبي بكر الصديق ، حين قال لخالد : « يا خالد ، احرص على الموت توهب لك الحياة » .

وظل خالد سيفا مسلولا ، ينتقل من ميدان الى ميدان ، وظل يحرص على طلب الموت فيفر منه ، وتلاحقه الحياة ، ثم يشاء القدر أن يلقى خالد ربه على الفراش لا في حومة الوغى ، فيقول وهو بين الحياة والموت : « لقد شهدت سبعين زحفا أو زهاءها ، وما في جسدي شبر الا وفيه ضربة بسيف ، أو طعنة برمح ، أو رمية بسهم ، وهأنذا أموت على فراشي كما يموت البعير ، فلا نامت أعين الجبناء » .

ولعمر بن الخطاب كلمة بطلة ، لأنها تذكر سامعها بالعزة والكرامة والاباء ، وتنفره من الذل والهوان . يقول فيها : « يعجبني من الرجل اذا سيم خطة خسف أن يقول (لا) بملء فيه » . والعجيب ان أكثر من ألف عام تمر بعد عهد عمر بن الخطاب ، ثم يأتي « كارليل » ليقول في كتابه « الأبطال » عبارة كأنها متابعة وتقليد لكلمة عمر السابقة ، حيث يقول كارليل : « آية الرجل الشريف أنه اذا سيم الخسف قال : لا ، بملء فيه » .

وكيف ننسى بطولة الكلمة التي جرت على لسان العباس بن عبد المطلب حينما سئل : أأنت أكبر أم رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ ، وكان السائل يسأل عن العمر ، فأجاب العباس : « هو أكبر مني ، وأنا ولدت قبله » .

وما أروعها من كلمة بطلة تلك التي قالتها العربية البليغة ، حينما قال لها ابنها وهو خارج الى الجهاد : يا أماه ، ان سيفي قصير . فسارعت تجيبه قائلة : « صله بخطوك » أي اجعله طويلا باقدامك .

**وهذا** معاوية تحمله على موقف البطولة كلمة بطلة انطلق بها لسان أحد الشعراء ، فقد حدث معاوية عن نفسه ، فقال : « لقد رأيتني ليلة الهرير بصفين ، وقد أتيت بفرس أغر محجل بعيد البطن من الأرض ، وأنا أريد الهرب لشدة البلوى ، فما حملني على الاقامة الا أبيات عمرو بن الأطنابة :

**أبت لي همتي وأبى بلائي**
**وأخذي الحمد بالثمن الربيح**
**واقحامي على المكروه نفسي**
**وضربي هامة البطل المشيح**
**وقولي كلما جشأت وجاشت**
**مكانك تحمدي أو تستريحي**
**لأدفع عن مآثر صالحات**
**وأحمي بعد عن عرض صحيح**

ويروي التاريخ أن امرأة خارجة على الحجاج سيقت اليه أسيرة ، فقال لأصحابه : ما تقولون فيها ؟ ، فأجابوا : عاجلها بالقتل أيها الأمير . فاندفعت المرأة تقول : لقد كان وزراء صاحبك خيرا من وزرائك يا حجاج . فقال لها : ومن صاحبي ؟ . فأجابت : « صاحبك فرعون ، استشارهم في موسى ، فقالوا : أرجه وأخاه » . فكانت كلمتها ذات بطولة .

ولقد قال الحجاج لامرأة من الخوارج : « والله لأعدنكم عدا ، ولأحصدنكم حصدا » . فردت عليه المرأة بكلمة بطلة ، قالت فيها : « الله يزرع وأنت تحصد ، فأين قدرة المخلوق من الخالق » ؟ ! .

ويقبل الموت على الحجاج ، ويتذكر ما ارتكبه من قسوة ، فيفزع الى ربه برجاء التوبة والمغفرة ، ويقول في ذلك عبارة باهرة آسرة ، هي : « اللهم اغفر لي فان الناس يظنون أنك لا تفعل » .

واشتد اعجاب خامس الراشدين عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه بهذه العبارة الدعائية من الحجاج ، حتى قيل انه غبط الحجاج عليها ، وقال : « ما أحسب الا أن الله تعالى قد غفر له بهذه الكلمة » .

وليست النماذج التي قدمناها عن بطولة الكلمة هي كل ما حواه أو رواه التاريخ الطويل الحافل ، وانما هي قطرة من بحر خضم ، ولو شئنا الآن لتابعنا خطواتنا متنقلين خلال القرون المتوالية في هذا التاريخ ، لنجد أشباها تعد بالعشرات أو المئات ، تؤكد لنا أن بطولة الكلمة على ألسنة البلغاء الموفقين لا تقل عن بطولة الميدان الذي يتصارع فيه الأبطال والأقران بأسنة السيوف والرماح ■




للامير امين آل ناصر الدين

دعِ اليراعَ فكم مِن حاملٍ قلَمَا ... لولا تنكّرُهُ لاسترعي النّعَمَا

من الغَضاضةِ أنْ يُعنى أخو أدبٍ ... بمَا يُعانيهِ من لا يَفْهمُ الكَلمَا

يا مَن يرى اللغةَ الفُصحى وقد نُكِبتْ ... بكلّ دَهياءَ ردّتْ نورها ظُلَمَا

هوتْ من الذّروةِ العُليا وبثّ لها ... شرّ الغوائلِ قومٌ ضيّعوا الهِمَمَا

من كلّ أبلَهَ صَلْدِ الذّهن ذي رَعَنٍ ... وكلّ فظّ اذا لاينتهُ عَرِمَا

يعدو على الجُمَلِ الفصحى فيمسخُها ... ويستحلّ من التزييفِ ما حَرُمَا

وينظم الشعرَ رثّاً لفظهُ فمتى ... يسمعهُ صاحب لبّ يشتهِ الصّممَا

ويستجيزُ من الإبهام أقبحَه ... فليس يفهمُ الا اللهُ ما نَظَمَا

وان أبنتَ له يوما مغالطَهُ ... يُؤجّجُ الحقدُ في أحشائهِ ضَرَمَا

ويدّعي أنه ما زلّ قطّ ولا ... تعوّد اللحنَ في قولٍ ولا وهَمَا

وأنهُ ناثرٌ ألفاظَهُ دُرَراً ... وانهُ ناظمٌ أبياتَهُ حِكَمَا

وأنَهُ العلمُ الفردُ الذي رفعتْ ... له مفاخرُهُ فوق السّهَى عَلَمَا

وأنَهُ العبقريّ الفذّ ليس له ... نِدّ وأنّ له الشأنَ الذي عَظُمَا

لا تستقرّ على أمرٍ مزاعمُهُ ... وهل يصدّقُ الا الغِرّ ما زَعَمَا

يا لَلْبلاغةِ أمسى وشيُها خَلَقاً ... وأصبحَ الدرّ من ألفاظِهَا فَحَمَا

يا لَلْفَصاحةِ أودى الأغبياءُ بها ... وربما جَهِلَ المغرورُ ما اجْترمَا

تعاوروها بأقلامٍ وألسنة ... أخنتْ عليها ولم يَستشعروا نَدَمَا

تلك الطروسُ التي ضمّتْ سطورَهُمُ ... تكادُ تشكو الى قرّائِها ألمَا

يا لَلْبيان استباحوهُ وما تركوا ... من سحْرِهِ غيرَ ما قد أورثَ اللّمَمَا

هذي مهارِقُهُمْ باللّغْوِ حافلةً ... يكادُ يجْهَلُ فيها المرءُ ما عَلِمَا

وتلك أشعارُهُمْ ساموا البيانَ بها ... مذلةً وأهانوا الطّرسَ والقَلَمَا

سفسافُ لفظٍ وأوزانٌ منافيةٌ ... وزنَ القريضِ ومعنىً يُضحكُ الفَهِمَا

سبابُها نافرتْ أوتادَهَا وبدَا ... فيها زِحافٌ وايطاءٌ قدِ التأمَا

يبنون أبياتَهَا واللحنُ يسكُنُها ... ومن بنى البيتَ مُختلاً كمنْ هَدَمَا

فضاع بينهمُ صوتُ الأديبِ وقدْ ... يضيعُ صوتُ هَزَارٍ جاورَ الرّخَمَا

قلْ للألى انتحلوا الآدابَ مُختبِراً ... هل انتحلتمْ لها الأخلاقَ والشّيَمَا

ما الشعرُ الا قوافٍ راض جامِحَهَا ... غَمْرُ البديهةِ فحلٌ راسخٌ قَدَمَا

صانت جزَالةُ مبناها معانِيَهَا ... عن أن يُلِمّ بها فهمٌ شكا وَصَمَا

اذا الحماسةُ أذكت بينها ضَرَمَا ... أسال تشبيبُها من حولِه سنَمَا

شواردٌ عبقرياتٌ لها أرَجٌ ... ما زال يلطفُ حتى صاحبَ النّسمَا

كأنها قِطَعُ الروضِ الذي سكبتْ ... غُرّ السّحابِ على أزهارِهِ دِيَمَا

تمرّ ألفاظُها بين السفاهِ كما ... يمرّ صافي الطّلا بالمِسك قد خُتِمَا

يكادُ يُنْشِدُهُنّ الفجرُ متخذاً ... لنفسه من أقاحيّ الرياضِ فَمَا

يا معشَرَ اللغةِ الفُصْحى أما لكمُ ... عطفٌ عليها يقيها النائبات أما

تداركُوها وذُودوا العابِثينَ بها ... وجدّدُوا من مبَانِيها الذي انهدمَا

كانتْ لها عندكُمْ فيما مضى ذِمَمٌ ... وليس شأنكُمُ أن تُخْفِرُوا الذّمَمَا

# مصادر جديدة للغذاء

**بقلم الدكتور راشد البراوي**

أصبح التزايد المطرد والسريع في أعداد النوع البشري يثير أشد القلق في نفوس كثير من العلماء والمفكرين والقادة. ولعل بضعة أرقام تكفي لبيان مدى الزيادة المطردة. فخلال النصف الأول من القرن الحالي زاد سكان العالم بمعدل ٠,٩ في المائة سنويا. وسبق للمصادر المتخصصة بالأجهزة التابعة للأمم المتحدة أن قدرت أن المعدل المشار اليه سوف يرتفع الى ١,٣ في المائة خلال الفترة الممتدة من عام ١٩٥٠م الى عام ١٩٨٠م، بحيث يصل عدد السكان في نهايتها الى نحو ٣٦٠٠ مليون نسمة. ولو كان معدل الزيادة واحدا في المائة بعد ذلك لارتفع الرقم الى ٥٠٠٠ مليون في بداية القرن الحادي والعشرين، والى ٧٠٠٠ مليون في منتصفه. أما اذا زاد السكان ١,٥ في المائة فان العدد سوف يبلغ ١٢ بليونا تقريبا في عام ٢٠٥٠م.

والشيء الذي يلفت النظر بوجه خاص، هو أن معدلات الزيادة السكانية عالية في البلاد المتخلفة، وهذه ظاهرة تزداد بروزا، ذلك أنه بينما ينخفض معدل الوفيات في هذه البلاد بنسب كبيرة نتيجة تقدم التعليم، ولو على نطاق محدود، وتطبيق التعليمات الصحية الحديثة، والقضاء على الكثير من الأوبئة التي كانت تعصف في الماضي بحياة الألوف بل والملايين، فان الخفض في معدل المواليد ليس كبيرا.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى تحدثنا الأرقام أنه في الفترة الممتدة من بداية القرن الحالي الى نشوب الحرب العالمية الثانية في عام ١٩٣٩، زاد عدد سكان العالم بحوالي ٣٠ في المائة، بينما تراوحت الزيادة في موارد الغذاء بين ١٠ و ١٥ في المائة فقط. ومن هنا تقول الاحصاءات والدراسات أن أكثر من نصف سكان العالم يعيشون في حالة تقرب من التضور جوعا، وأن نحوا من ربعهم يعانون من نقص التغذية.

واذن فالمشكلة تتمثل في السؤال التالي: هل في الامكان توفير المواد الغذائية التي تكفي هذه الأعداد المتضخمة من البشر؟ من العلماء من يذهب بهم التشاؤم الى حد التنبؤ بأننا نقترب بخطى سريعة من الوقت الذي سوف تعجز فيه الموارد الغذائية عن تلبية حاجات الشعوب. غير أن هذه النظرة القاتمة التي تحاول الاستناد الى الأرقام الصلدة والجافــة، انما تقلل من قدرات العقل البشري وامكاناته، ولا تقدر ما ينطوي عليه تقدم العلم والتكنولوجيا من احتمالات حق قدرها. ومن ثم نجد علماء آخرين هم أشد تفاؤلا، لأنهم أكثر ايمانا بالله ثم بالانسان. ومن أمثال هؤلاء الأمريكي «جوناثان جارست» في كتابه «لا حاجة الى أن نجوع»، فهو يعتقد أن العالم قادر على انتاج ما يلزمه من الغذاء. والى هذا الرأي يذهب أيضا العلماء الذين أعدوا دراسة لقادة الصناعة الأمريكية عن موارد الانسان الطبيعية والتكنولوجية، ونشروها تحت عنوان «السنوات المائة القادمة».

## الغذاء النباتي

هنا نجد أنفسنا أمام ظاهرة خطيرة وملفتة للنظر، ذلك أن نسبة كبيرة منه تذهب هباء ولا يستفيد الانسان منها، أما تقصيرا منه، واما نتيجة قصوره التكنولوجي. فبالنسبة الى عدد من النباتات الغذائية نلقى الانسان يأكل القليل من أجزائها، ويترك الورق والسيقان وما في حكمها، وهذا ما يحدث في حالة القمح والذرة مثلا، اذ لا يستخدم سوى الحب فقط، يطحنه ويحوله الى خبز. وجزء كبير من مختلف أنواع الخضر والفاكهة لا يتغذى به الانسان، وانما يعتبره من الفضلات التي لا نفع فيها. ويحدثنا واضعوا دراسة السنوات المائة القادمة «بأن حوالي نصف ما تخرجه الأرض من الغذاء النباتي يأكله الحيوان. حقيقة أن الحيوان يعيد بعض ما يتغذى به على صورة منتجات بروتينية كاللحم واللبن والبيض وغير ذلك، ولكنه في الواقع لا يعيد الينا سوى نسبة ضئيلة جدا مما يستهلكه، قد لا تتعدى العشرة في المائة. كذلك فان الآفات والحشرات تستهلك ما يقرب من ثلث الغذاء النباتي. ومن هنا يمكن القول بأن الانسان لا يستهلك الا عشرين في المائة فقط من الغذاء النباتي الذي تنتجه الأرض.

وهكذا نرى أننا أمام مورد ضخم من هذا النوع من الغذاء، الذي يمكن أن يفيد منه النوع البشري اذا أحسن التصرف فيه على ضوء النقاط التالية:

- اعطاء الحيوان ما يحتاجه فعلا من الغذاء النباتي، دون اسراف، وتعويضه جزئيا بأنواع أخرى من الغذاء قد تكون أجدى له وأكثر نفعا.
- الاستفادة من الأجزاء التي نلقي بها حاليا على صورة فضلات. ففي الامكان مثلا تحويل المادة الخشبية في النبات الى ما يشبه شراب المولاس، ثم تحويل الأخير الى مادة غنية بالبروتين. وبالنسبة الى أنواع كالبقول والخضر والفاكهة لا تؤكل أجزاء كثيرة منها، ربما لأن نكهتها غير مستساغة، ولكن العلم قادر على تذليل هذه العقبات.
- انشاء الصوامع والمخازن والأهراء ينقذ مقادير ضخمة من الحبوب من خطر الطيور والحشرات، ومن التعفن بسبب الأمطار.
- بذل الجهود الفعالة للقضاء على الآفات والحشرات التي تقضي على ما يقرب من ثلث الغذاء النباتي بالعالم.

وفي سبيل توفير المقادير الكافية من المواد الغذائية لا بد من توجيه مزيد من الاهتمام الى الزراعة. ونلاحظ بهذا الصدد أن بلادا كثيرة

اندفعت في طريق التصنيع على حساب الزراعة ومن ثم فالتقدم في مثل هذه الحالة يفتقر الى التوازن . وفضلا عن هذا ، فمن الحقائق التي تدعمها التجارب بأن التصنيع لا يتسنى له أن يحقق غاياته الا اذا كان مصحوبا بارتفاع مناسب في مستوى التغذية من ناحيتي الكم والكيف .

والتوسع الزراعي نوعان : أفقي ورأسي . ويقصد بالتوسع الأفقي زيادة المساحة المنزرعة في العالم والتي تقدر بحوالي ٢٥٠٠ مليون فدان ، أي بمعدل فدان للفرد الواحد . غير أن هذا المعدل يتفاوت من بلد الى آخر ومن اقليم لآخر ، فهو مثلا ٣,٦ فدان في أمريكا الشمالية مقابل نصف فدان في آسيا . ويقدر الخبراء أن في المناطق الاستوائية والباردة امكانيات لاستغلال نحو ١٠٠٠ مليون فدان جديدة ، اذا أمكن التغلب على بعض الصعاب الفنية .

وفي الامكان زيادة المساحة المنزرعة باستصلاح مساحات شاسعة من الأراضي الصحراوية اذا أمكن توفير المياه اللازمة للري . وهذا يمكن أن يتحقق بضبط مياه الأنهار في بعض الحالات . كذلك يمكن اقامة بعض مشروعات الري لتنظيم الري وتخزين مياه السيول أو الأمطار التي تسقط خلال فترات معينة من السنة ، وهذا ما تتبناه السياسة الزراعية في مناطق عديدة من المملكة العربية السعودية . ومن وسائل تدبير المياه اللازمة للري اجراء الدراسات والأبحاث للكشف عن مصادر المياه الجوفية . وتجرى الآن دراسات واسعة بهذا الشأن في الربع الخالي وفي الصحراء الكبرى ، حيث يسود الاعتقاد بوجود مجار ضخمة من هذه المياه الجوفية . ولو أسفرت الدراسات عن نتائج عملية لكان معنى هذا اضافة مئات الألوف من الأفدنة الى الرقعة الزراعية ، وبالتالي اضافة مقادير ضخمة من المواد الغذائية النباتية . والأمر نفسه يمكن أن ينطبق على مناطق مماثلة في القارات الأخرى .

الا أن مشكلة توفير الماء اللازم لأغراض الري تسير في طريق الحل بالنسبة الى البلاد والمناطق التي تفتقر الى الأمطار أو الأنهار أو المصادر الجوفية ، وذلك بتحلية مياه البحار والمحيطات . ولكن المشكلة الحقيقية أنما تنحصر في اتمام هذه العملية بطريقة اقتصادية . ولو توصل العلماء الى استخدام مياه البحار والمحيطات بنفقات مناسبة لكان معناه اضافة مئات الملايين من الأفدنة

عالم بالكيمياء الحيوية يتذوق عينتين من الكعك استخدمت فيهما نسب معينة من الطحالب البحرية المسحوقة . فالعينة التي أضيف اليها الطحلب الأخضر كانت مرة المذاق نسبيا وعشبية اللون ، بينما العينة الأخرى التي احتوت على طحلب أبيض كانت عادية الطعم .

من الأراضي البور والصحراوية في الوقت الحاضر بحيث تسهم في تزويد البشر بجزء لا يستهان به من احتياجاتهم الغذائية .

أما التوسع الرأسي فيقصد به زيادة غلة الفدان الواحد ، أي زيادة انتاج الأرض . وهنا نلاحظ أن بلاد العالم تنقسم الى أنواع ثلاثة : بلاد تجري فيها زراعة مساحات كبيرة تنتج حاجة أهلها من الغذاء ، ولكن في الامكان زيادة الغلة بالاستخدام الجزئي للتقنية الحديثة ، وبذلك يتوافر فائض يمكن تصديره الى بلاد أخرى في أشد الحاجة اليه . وبلاد يزيد عدد أهلها على امكانياتها الزراعية ، بحيث لا يكون ثمة أمل في انتاج المقادير اللازمة من الغذاء الا بتغيير الأساليب الزراعية السائدة . وبلاد تكاد الأرض فيها أن تكون شاغرة بسبب ضآلة الانتاج وقلة عدد السكان ومن أمثال هذه البرازيل الوسطى . هذه المناطق وأمثالها يمكن أن تتحول الى مورد غذائي كبير باستخدام أساليب الزراعة الحديثة .

فالذي يتعين عمله في سبيل زيادة غلة الأرض يتلخص فيما يلي :

• اجراء الدراسات من أجل انتاج سلالات من المواد الغذائية أوفر غلة وأقدر على مقاومة الآفات أو الظروف المناخية . وتقدم لنا الولايات المتحدة مثالا جديرا بالتمعن من هذه الناحية . لقد كانت بداية الانطلاق هي زراعة الذرة الهجين ، وكانت النتيجة ان أصبح هذا البلد ينتج نحو نصف محصول الذرة في العالم .

وكانت الخطوة الثانية هي زراعة فول الصويا ، وسرعان ما قامت المصانع من أجل استخراج الزيت ، وانتاج العلف اللازم للحيوان منه . ويقول جارستن : « ان فول الصويا جاء بالبروتين في تغذية الحيوان » .

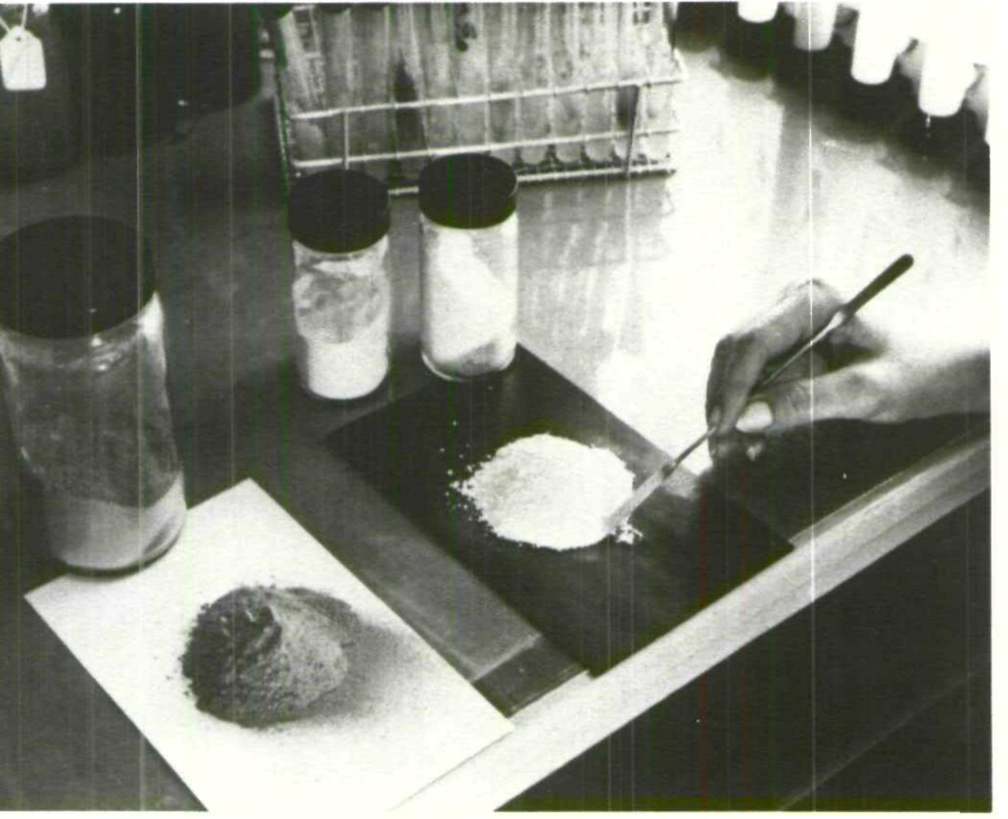
كذلك يمكن ابتداع أنواع من القمح والشعير أوفر غلة . وتقدم لنا الزراعة الفرنسية أمثلة طيبة في هذا الشأن .

وما من شك أن الوصول الى أمثال هذه النتائج التي عرضنا لها في ايجاز يتطلب اجراء الدراسات العلمية والبحوث الزراعية عن أصول النباتات ونشأتها وتطورها وتخليطها وتهجينها . ومما لا شك فيه أن التوسع الرأسي يرتبط ارتباطا وثيقا بمستوى التقدم العلمي والتكنولوجي في الفنون الزراعية .

• التوسع في استخدام السماد لغذاء النبات ، ثم توليد النباتات التي تلائم التوسع في التسميد . ان الفلاحين في بعض البلاد ، يعتقدون أنه ليس



يعكف علماء النبات على اجراء اختبارات مختلفة على أنواع من الطحالب البحرية بغية تحويلها الى مصادر غذائية جديدة تسد حاجة سكان العالم المتزايد الى الطعام . ويبدو هنا أحد العلماء يتفقد مجموعة من عينات الطحالب تم زرعها في هذه الأنابيب الزجاجية الظاهرة في الصورة .



نوعان من الطحالب ، أحدهما أبيض اللون (الى اليمين) والآخر أخضر مجفف (الى اليسار) قامت بانتاجهما احدى المؤسسات في محاولة لتحويلهما الى مصادر غذائية يتزود بها رواد الفضاء أثناء رحلاتهم الفضائية . ويتميز النوع الأبيض على النوع الأخضر بمذاقه وطعمه .

ثمة حاجة الى التسميد اذا كانت الأرض الجديدة خصبة . هذه النظرة خاطئة ، فالتسميد لا يقف نفعه عند حد تعويض ما تخسره التربة من العناصر اللازمة لغذاء النبات ، ولكنه يؤدي في الوقت نفسه الى زيادة الغلة ، وبالتالي زيادة الانتاج . ومن هنا يعين توفير الأسمدة الكيماوية بمقدار ما يكفي لسد متطلبات الزراعة .

ولا بد من توافر شروط معينة في السماد . فأولا يجب دراسة احتياجات الزراعة الى السماد خلال فترة زمنية كافية بحيث يتمشى التوسع في انتاج السماد مع مثيله في الزراعة . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى يتعين القيام بدراسات عميقة لأنواع الأسمدة التي تتفق مع الأنواع المختلفة من التربة والنباتات الغذائية . كما ينبغي أن يؤخذ في الاعتبار أن تكون تكاليف التسميد اقتصادية .

وليس معنى الاكثار من استخدام السماد ، أن نسرف في التسميد ، وانما المقصود هو تزويد التربة والنباتات بأقصى حاجاتها من هذه المادة الضرورية .

• استخدام مواد التبخير ، والمبيدات الحشرية ، والمبيدات الكيماوية للأعشاب الضارة ، والمواد المضادة للحيوية ، والفيتامينات ، والهرمونات . فكما ان هذه العقاقير مألوفة في حالة الانسان ، فهي كذلك ضرورية في تغذية النبات وزيادة قدرته على النمو والتكاثر ومغالبة الآفات الزراعية .

## الثروة الحيوانية

وبالاضافة الى توفير الغذاء النباتي ينبغي توجيه الاهتمام الى أنواع من الثروة الحيوانية . والوسائل التي يمكن أن تتبع من أجل هـــذه الغاية متعددة ، نذكر منها :

• التوسع في انتاج العلف من مختلف أنواع المواد التي تصلح لمثل هذا الغرض ، كفول الصويا وغير ذلك . وهذا في الوقت نفسه ، يؤدي الى توفير جزء لا يستهان به من الغذاء النباتي الذي يستهلكه الحيوان ، كما سبق القول .

• استغلال المراعي الطبيعية والحظائر الاصطناعية باستخدام الوسائل الحديثة في تربية الحيوان . والحق ، أن المنطقة العربية الممتدة من آسيا الى أفريقية ، ذات امكانيات ضخمة في هـــذه الناحية ، وتستطيع أن تنتج حاجة أهلها من البيض واللحوم والألبان ، فضلا عن فائض كبير للتصدير ان اتبعت الأساليب الحديثة في تربيتها ، وتوفرت وسائل المواصلات اللازمة ، ومنع استخدام الماشية في العمليات الزراعية ، وأقيمت صناعات للعناية بهذه المنتجات .

• توليد سلالات من الماشية والدواجن تتميز بوفرة ما تدره من غذاء صالح للانسان . هذا بالاضافة الى ضرورة توفير الرعاية البيطرية ، مما يقلل من الخسائر التي تصاب بها الثروة الحيوانية من جراء أنواع من الأمراض والآفات . وهنا تطالعنا تجربة حدثت في انجلترا في النصف الأول من القرن الثامن عشر ، حيث تمكنت بفضل الدراسات العلمية والعناية الطبية ، من أن تزيد انتاج الأغنام من اللحم بمقدار النصف خلال فترة قصيرة ، ذلك أنها ركزت على الأنواع التي تنتج اللحم والشحوم ، بعد أن كان التركيز من قبل على انتاج الصوف .

• هناك في القارة الأفريقية – مثلا – مساحات شاسعة تصلح لتربية أعداد هائلة من الماشية ، ولكن يحول دون الاستفادة منها انتشار الآفة المعروفة باسم « ذبابة تسي – تسي » .

وثمة مورد له شأنه من موارد غذاء الانسان ، يتمثل فيما تشتمل عليه المحيطات والبحار والأنهار والبحيرات من الثروة السمكية . وان تقدم صناعة الصيد في بلاد مثل النرويج وكندا واليابان مما نشير اليها على سبيل المثال ، انما يوحي بما يمكن عمله في هذا المجال الواسع . فبالاضافة الى استغلال شواطىء البحار والمحيطات والأنهار والبحيرات على أحسن وجه ، فان الصيد في أعالي البحار يلعب الدور الأهم حيث يمكن أن تجوب أساطيل الصيد جميع المسطحات المائية المفتوحة سعيا وراء حاجة الانسان الى الغذاء .

وهذه الصناعة تتطلب ولا شك من المشتغلين بها استخدام أحدث الوسائل العلمية في الصيد ، كأنواع الشباك ، والسفن المزودة بالثلاجات ، والحرص على عدم صيد صغار السمك أي الحديث العهد بالولادة حتى لا يفنى هذا المصدر . ولكن استغلال الثروة السمكية يتطلب تنظيما على الصعيد الدولي ، لعل في مقدمة نواحيه اجراء الدراسات العلمية الوافية عن أنواع السمك ، وأماكن ومواسم تجمعها ، وتحديد أوقات معينة للصيد في كل منطقة ، لأن الاسراف قد يؤدي الى استنزاف ما فيها من هذه الثروة . أما في داخل البلاد فلا بد من الاهتمام بانشاء المزارع السمكية على نطاق واسع ، ووضع تنظيم دقيق للتربية والصيد .

## الغذاء الاصطناعي

وأخيرا وليس آخرا ، هل استنفد الانسان مختلف الموارد التي يحصل منها على حاجته من الغذاء ؟ الجواب هو النفي ، ذلك أن آفاق التقدم العلمي وامكانات التقدم التكنولوجي الحديث لا حدود لــه .

والواقع أن الانسان قد تمكن من انتاج أنواع من المواد الغذائية بالطرق الكيماوية . ففي أثناء الحرب العالمية الثانية مثلا ، وبسبب النقص الذي أحست به بعض البلاد في ألوان من الشحوم ، أجريت تجارب ناجحة لعمل الشحوم من الفحم بعد معالجته كيماويا ، وأقيمت المصانع لهذا الغرض ، وانتشرت من بلد لآخر ، وشهدت السنوات التالية لانتهاء تلك الحرب توسعا فـــي هذا الميدان .

لكن يبدو أننا أمام مرحلة جديدة من مراحل التقدم التكنولوجي ، سوف تكون لها آثار ضخمة بالنسبة الى غذاء الانسان ، ذلك أن العلماء قد توصلوا – بعد جهود شاقة استغرقت سنوات طوالا ، الى انتاج البروتينات من البترول . فقد لعب هذا السائل الأسود دورا بالغ الأهمية في تقدم البشرية الحديث ، فزودها بالطاقة التي تدير آلات المصانع ، وتحرك وسائل النقل والمواصلات بالبر والبحر والجو ، وأرسى قاعدة قامت عليها صناعات كيماوية تزود الناس بأعداد لا حصر لها من المنتجات والسلع التي تفيدهم في حياتهم اليومية . غير أن أهمية البترول لن تقف عند هذا الحد ، اذ يقدر له أن يسهم بدور جديد في مجال غذاء الانسان .

ونحن جميعنا على علم بالفيتامينات وأهميتها ، ويزداد استخدامنا لها باطراد نظرا لحاجة الجسم الى مقادير منها . وهذه الفيتامينات يجري انتاجها بالطرق الصناعية ، وتعتبر من العناصر المساعدة في تغذية الانسان . وقد يأتي اليوم الذي يتناول الانسان فيه وجبته عـــلى شكل كبسولات اصطناعية .

من هذا الذي عرضناه بصورة موجزة ، يمكن التأكيد بأن التشاؤم لا محل له ، وأن الانسان الذي أخرج كل ما عرفته الحضارة من مكتشفات ومستحدثات وابتكارات ، سوف لا يني يوفر المقادير الكافية من الغذاء واللازمة للاعداد المتضخمة من أفراده . وان تاريخ الحضارة منذ الأزل لشاهد على أن الانسان سوف يواصل سيره قدما نحو الرفاهية ■

# قصر جنة العريف

بقلم الاستاذ محمد عبدالله عنان

هكذا تبدو العقود الداخلية لقصر جنة العريف مع الرواقين الجانبيين تتوسطهما الخمائل والأزهار ونوافير الميـاه .

إن جمال مدينة الحمراء ، وروعة قصرها ، وضخامة أبراجها العديدة ، تلقي ظلا من النسيان على صرح جليل آخر من صروحها التاريخية ، هو قصر «جنةالعريف» أو «الجنراليفي – El Gene alife» ، كما يسميه الاسبان .

ويقع هذا القصر الصغير الأنيق ، فوق ربوة مستقلة عالية ، تقع شمال شرقي قصر الحمراء ، وتفضي اليه طريق طويلة صاعدة تظللها الأشجار الباسقة ، ثم طريق أخرى تظللها أشجار السرو المتلاصقة ، ويبلغ طول الطريقين نحو ستمائة متر .

ويشرف قصر جنة العريف من ربوته العالية ، على صروح مدينة الحمراء ، وتبدو من ورائه آكام جبال الثلج « سييرا نفادا » الشاهقة ظليلة كالغمام . وهو عبارة عن صرح جميل أنيق المنظر ، قد اختلطت أوضاعة العربية السفلى بما أنشأه الملوك الاسبان فوقها من أبنية دخيلة . وتجوز اليه من مدخل بسيط متواضع ، وقد نقشت سورة الفتح على لوحة خشبية كبيرة تحيط بالجزء الأعلى من رواق المدخل .

ويفضي هذا المدخل الى ساحة فسيحة ، يبلغ طولها خمسين مترا ، وعرضها ثلاثة عشر ، وعلى جانبيها رواقان ضيقان طويلان ، وفي وسطها بركة ماء ، وفي جميع جوانبها نوافير رشيقة ، وقد غرست حولها الرياحين والزهور الساحرة .

وفي صدر هذه الساحة ، مدخل ذو ثلاثة عقود عربية جميلة الزخرف ، نقشت في الجزء الأعلى من العقود آية الكرسي ، ونقشت في مربعات العقود القصيدة الآتية :

**قصر بديع الحسن والاحسان**
**لاحت عليه جلالة السلطان**
**راقت محاسنه وأشرق نوره**
**وهمت سحائب جوده الهتّان**
**رقمت يد الابداع في أرجائه**
**وشيا كمثل أزاهر البستان**
**فكأن مجلسه العروس تبرّجت**
**عند الزفاف بحسنها الفتان**
**وكفاه من شرف رفيع القدر أن**
**نال اعتناء خليفة الرحمن**
**خير الملوك أبو الوليد المنتقى**
**من نخبة الأملاك من قحطان**
**المفتدى بالطاهرين جدوده**
**أنصار خير الخلق من عدنان**
**لحقته منه عناية قد جددت**
**منه جمال مصانع ومبان**
**في عام نصر الدين والفتح الذي**
**هو بالحقيقة آية الايمان**
**لا زال معنوّا بسعد خالد**
**في نور ارشاد وظل أمان**

ويحيط الغموض بنشأة قصر جنة العريف . والظاهر أنه أنشىء في أواخر القرن الثالث عشر الميلادي ، في عهد السلطان محمد الفقيه أو محمد ابن محمد بن الأحمر ، وهو الثاني من ملوك غرناطة ، وقد حكم من سنة ١٢٧٢ الى سنة ١٣٠٢م ، أو في أوائل القرن الرابع عشر في عهد ولده عبد الله المخلوع (١٣٠٢ – ١٣١٢م) . يدل على ذلك بعض أبيات القصيدة المتقدمة ، وفيها مديح للسلطان أبي الوليد اسماعيل الذي ولي العرش في سنة ١٣١٤م ، وحكم حتى مصرعه في سنة ١٣٢٥م ، وتنويه بأنه جدد هذا القصر وزاد فيه . ويؤرخ الشاعر هذا التجديد بأنه وقع في عام النصر ، وهو يشير بذلك الى الموقعة التي وقعت بين الغزاة القشتاليين وحلفائهم ، وبين القوات الغرناطية ، في هضبة « البيرة » ، على مقربة من غرناطة ، وذلك في ٢٠ من ربيع الثاني سنة ٧١٨ هـ (مايو سنة ١٣١٨م) ، وهزم فيها القشتاليون هزيمة فادحة ، وقتل عدة كبيرة منهم من النبلاء والأمراء والأحبار ، وظفر المسلمون فيها بغنائم عظيمة .

كذلك لا نعرف بالتحقيق لماذا أنشىء هذا القصر الصغير ، على مقربة من قصر الملك الكبير ، في الحمراء . ولكن تسمية القصر ، وموقعه الرائع على الهضبة العالية ، قد تفصحان لنا عن حكمة



منظر عام لقصر جنة العريف تظلله الأشجار الكثيفة الباسقة .

انشائه . وذلك انه انشىء في بقعة « جنة العريف ». وقد كانت الضياع والرياض العظيمة النضرة ، أيام مملكة غرناطة تعرف بالجنات . وكانت « جنة العريف » من أجمل هذه الجنات ، وقد ذكرها لنا ابن الخطيب في « الاحاطة » ضمن الجنات الغرناطية الشهيرة الواقعة خارج غرناطة . واذن ، فأغلب الظن أن هذا القصر الصغير الجميل ، انما انشىء فوق هذه « الجنة » الغرناطية الساحرة ، ليكون مصيفا ومنتجعا للراحة لملوك غرناطة ، يلجأون اليه لتمضية أوقات فراغ ومتعة ، يبتعدون فيها عن دار الملك ومشاغلها الجمة.

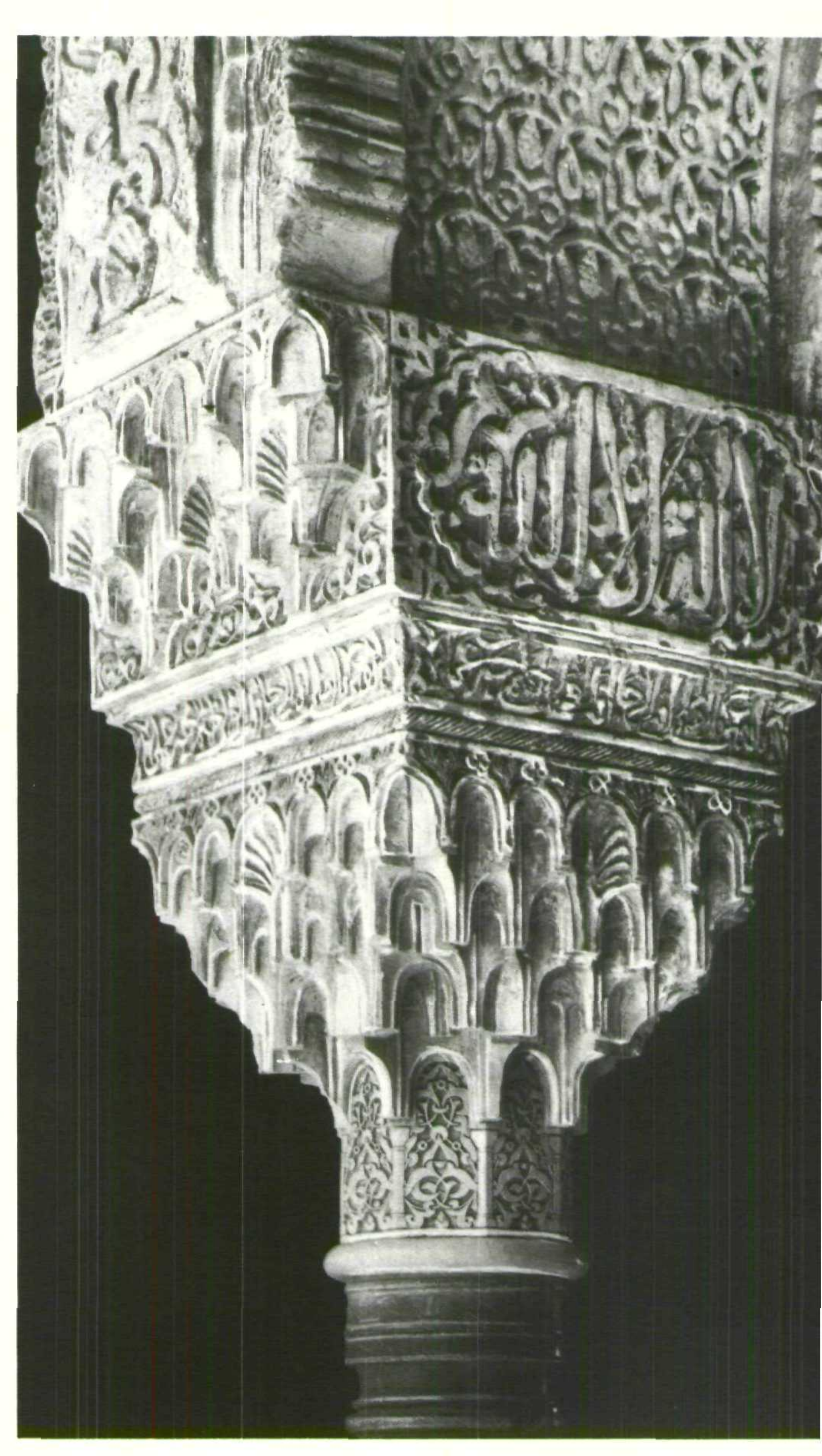
ولدينا على صحة هذا الفرض دليل تاريخي واضح الدلالة ، هو أنه لما نشبت الثورة في غرناطة في أواخر شهر رمضان سنة ٧٦٠هـ (أغسطس سنة ١٣٥٩م) ضد السلطان أبي عبد الله محمد الغني بالله ، والتي انتهت بخلعه وتولية أخيه اسماعيل مكانه ، كان هذا السلطان يقيم هو وأسرته في قصر جنة العريف ، وكان الوقت صيفا ، وهو ما يدل على أن قصر جنة العريف كان بالفعل مصيفا لسلاطين غرناطة ، ومنتجعا للراحة والاستجمام .

ويفضي مدخل جنة العريف الذي نقشت القصيدة المتقدمة على وجه عقوده الثلاثة ، الى بهو كبير يماثل البهو الذي يقع بجوار المدخل الرئيسي .

وتوجد ثمة نقوش عديدة متفرقة فوق أعمدة العقود المختلفة ، وفي عقود النوافذ ، وفوق الجدران وفي دوائر صغيرة ، منها : « لا اله الا الله محمد رسول الله » ، « ولا غالب الا الله » ، « العز القائم والملك الدايم لله » ، « الغبطة المتصلة » ، « الحمد لله على نعمة الاسلام » ، « الملك لله وحده » .

وقد نقش كثير من هذه العبارات فوق جدران قصر الحمراء وعقوده ، ولا سيما عبارة « ولا غالب الا الله » وهي شعار بني نصر ، ملوك غرناطة ، وقد حرصوا على نقشها في كل ركن من أركان صروحهم . وتراها منقوشة في أبهاء قصر الحمراء بكثرة تلفت النظر ، وتبعث الى التأمل ، وكأنها النذير يعيه ملوك غرناطة ، راضين بقضاء الله وحكمه .

وهذه الطبقة السفلى من قصر جنة العريف ، هي التي تكوّن وحدها الصرح الأندلسي . ولكن الملكة « ايسابيلا » ، ملكة قشتالة ، قامت عقب



الجزء العلوي لعمود من الرخام تزينه الزخارف الغرناطية وكلمة التوحيد « لا اله الا الله » .

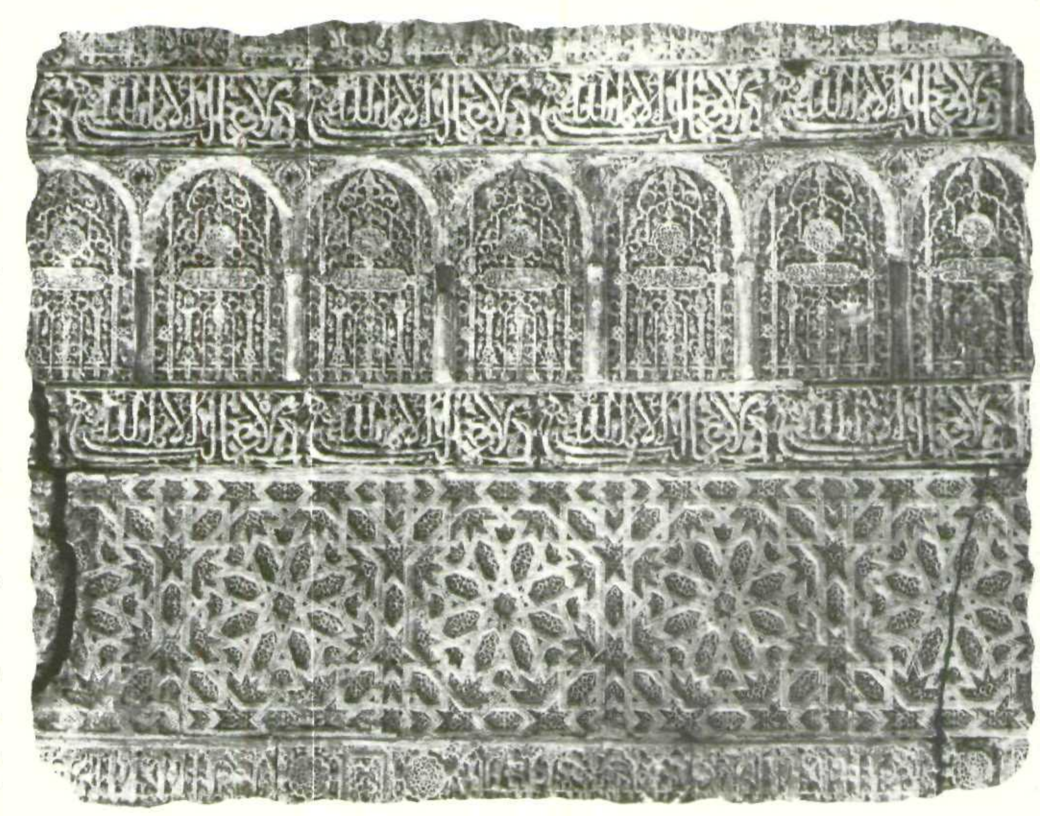
جانب من عقود الفناء الأول لقصر جنة العريف تزدان بالنقوش الأثرية .

محراب صغير عند مدخل القصر وقد زين من أعلاه بنقوش يحيط بها شعار بني نصر « ولا غالب الا الله » .

الاستيلاء على غرناطة سنة ١٤٩٢م ، بانشاء طبقة عليا فوق البناء ، تتكون ايضا من رواقين طويلين ، ومن جناحين متقابلين في الشمال والجنوب ، ذات سقوف مضلعة ، على طراز عصر الأحياء . وكان الجناح الشمالي ، الذي يقع فوق بهو المدخل ، يضم متحفا فيه عدة صور تاريخية لبعض ملوك قشتالة ، والملكين الكاثوليكيين « فرناندو » و« ايسابيلا » ، وصورة يقال انها صورة أبي عبد الله محمد بن أبي الحسن ، آخر ملوك الأندلس . وقد استمر هذا المتحف قائما حتى سنة ١٩٢١ ، ومن الغريب ان قصر جنة العريف كانت تملكه في ذلك الوقت أسرة اسبانية ايطالية ، هي أسرة « دورازو بلفنشي » . ففي سنة ١٩٢١ تنازلت هذه الأسرة عن القصر الى الحكومة الاسبانية ، وضمته الحكومة الى مجموعة الآثار القومية . ولكن الأسرة المذكورة احتفظت بمعظم محتويات المتحف من أثاث وصور ، ونقلتها معها الى ايطاليا ، وكان منها صورة السلطان أبي عبد الله محمد ، ولكن توجد اليوم من هذه الصورة نسخ عديدة في اسبانيا . هذا الى أنه توجد في متحف « دار الرماية » بغرناطة صورة أخرى للسلطان أبي عبدالله أهدتها اليه احدى الأسر الغرناطية القديمة .

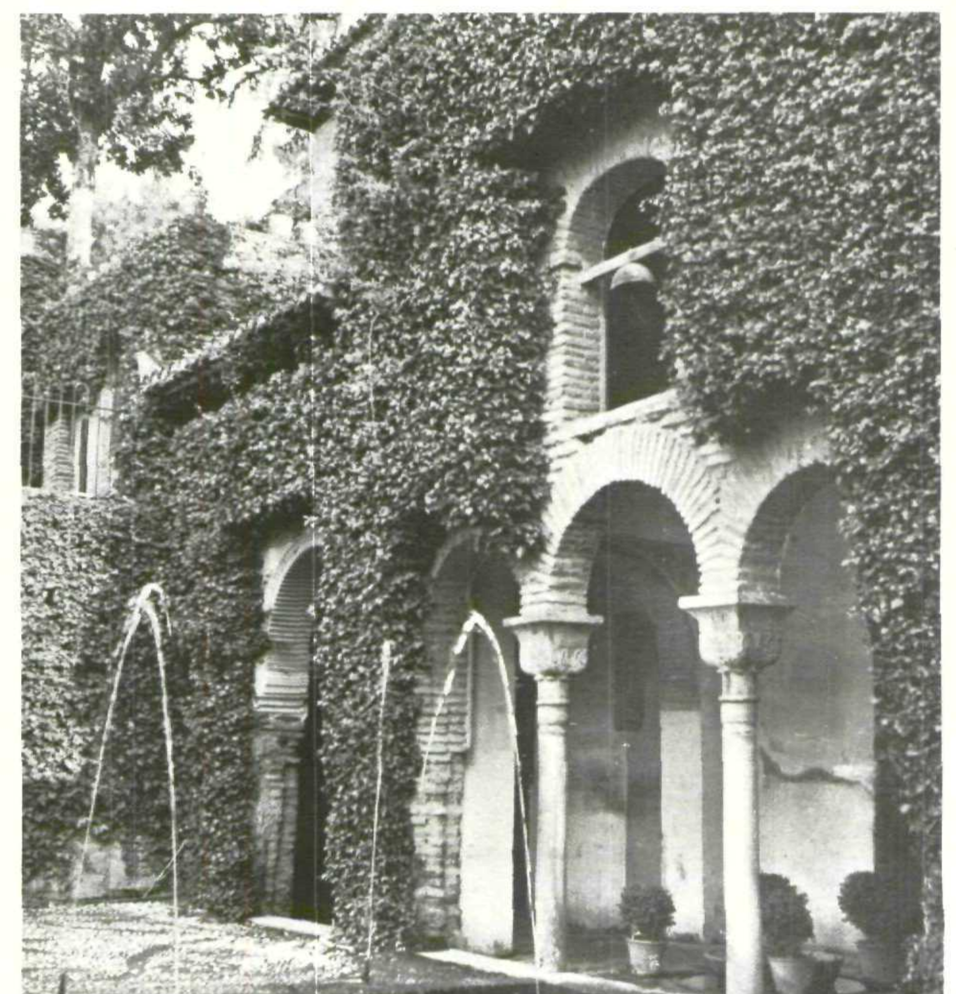
ونقلت كذلك بعض اللوحات الخشبية من قصر جنة العريف الى « متحف غرناطة الأركيولوجي » ، ومنها لوحة عليها نقوش وزخارف بديعة ، وشعار بني نصر « ولا غالب الا الله » ، ولوحة خشبية مذهبة أخرى ، تنسب لأسرة « بنّيغش » وزراء غرناطة الذين تنصروا عقب سقوطها ، وسكنوا قصر جنة العريف حينا ، وعليها خمس رمانات ، هي شعار غرناطة المسيحية ، وشعار أسرة « بنيغش » ، وتوجد ثمة عدة لوحات رخامية وخشبية أخرى أخذت من قصر جنة العريف الى متحف الحمراء .

ويغلب الخراب على الطابق الأعلى من قصر جنة العريف ، وقد نزعت نوافذه . ولكن الصرح الأندلسي الأصيل ما زال بالرغم من هذا التشويه ، يبدو بطرازه العربي أخاذا رائعا . ويزيد في هذا الجمال ما يتخلل القصر ، وما يحيط به من الأشجار والخمائل المزهرة البديعة ، وهي التي تعنى السلطات الأثرية الاسبانية عناية فائقة ، بالعمل على غرسها وتنسيقها ، حول سائر الصروح الأثرية بمدينة الحمراء ■



▲ جانب من واجهة الفناء الأول حيث تتجلى روعة النقوش الزخرفية الأثرية مزدانة بشعار بني نصر « ولا غالب الا الله » .

▼ بعض العقود التي تقوم عليها الواجهة الداخلية للقصر ، وقد تدلت عليها الخمائل والأزهار لتزيد من روائها وجمالها .



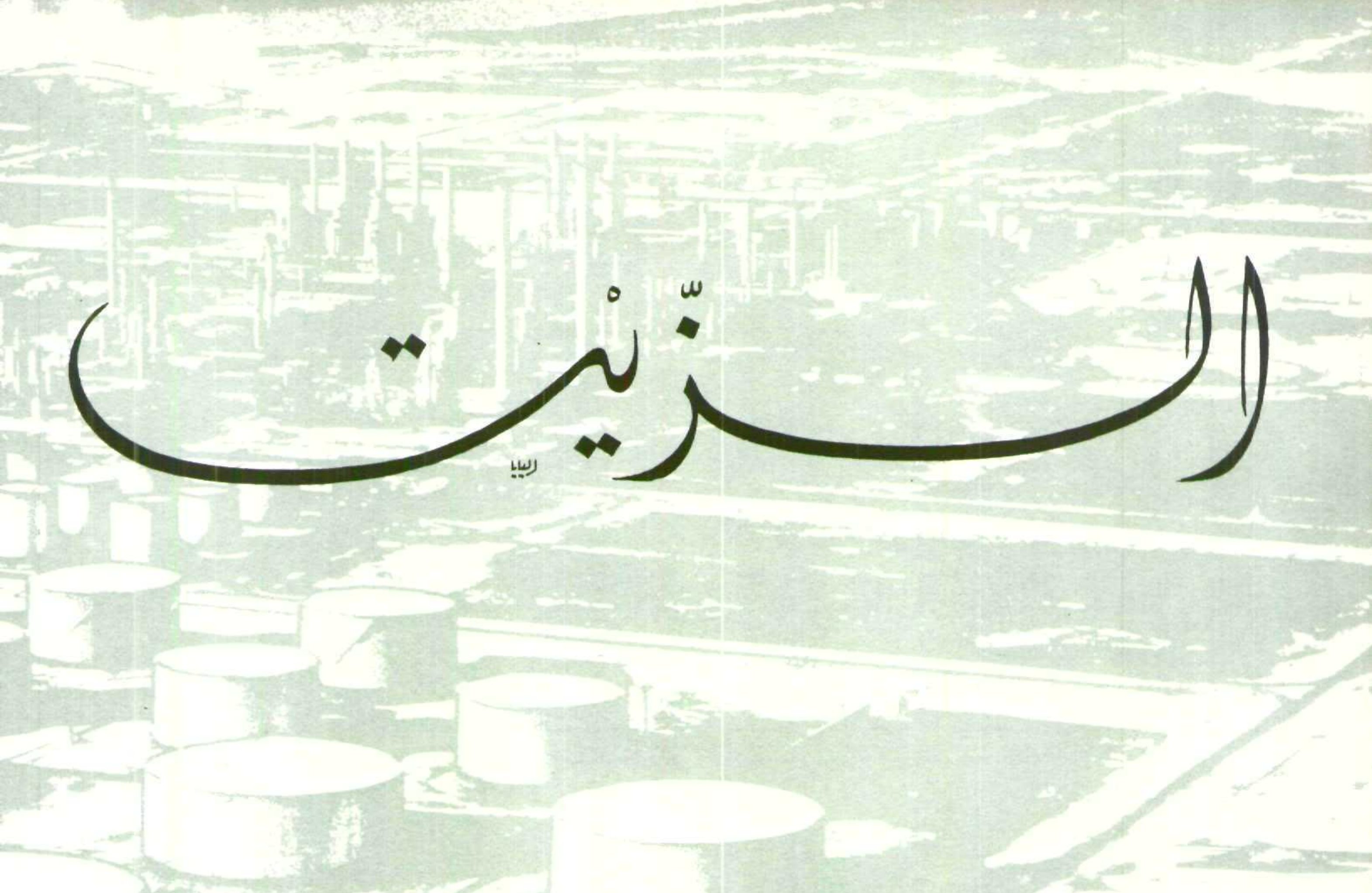



للشاعر عبد السلام هاشم حافظ

أحب الوجود لأني بشر      لأني بروحي أعظم قلبي
أحب بكل الجوارح      بكل عواطف حبي
أقدس صنع الاله
أراد الجمال بصورته الخالدة
. . . فسبحانه من قدير
أحب لأسمو بكينونتي      لأشعر دوما بنور الحقيقة
بحلمي مع الذكريات      وتلك المجاني الرقيقة
أحب لأني أحب الحياة
وأعشق في الحب معنى الشذا والتناقض
. . . وما في الهوى من متاه
فؤادي بهيكله قد تعذب      شبابي بآفاقه قد تغرب
وحبي مع اللانهاية      صباي عليه تلهب
من الشوق والوجد واللهفة
لهذا بقيت وراء سراب أسير
. . . مع الوهم واللوعة
وطيف محال أروم وأرجو      وروحي يعانقها في الخيال
ربيع هوى شاعري      بدنيا الصبا والجلال
فألمس في الطيف بعض مناي
أحب وباللارجاء .. وباللاأمل
. . . وهمس الربيع صداي
ولكن حبي رقيق كبير      يفسر للناس سر الشروق
ويسمو بهم كبشر      هو الحب ضوء الطريق
لهذا أحب اخاء البشر
وكلهم عالمي حيث تصفو السرائر
. . . ويحنو علينا القدر
فيبقى الوداد يلف حمانا      ويضفي علينا جلال المعاني
يرف علينا السلام      يوحدنا في الأماني
لهذا أحب بكل المشاعر
بوعي واحساس نفسي ووجدان ذاتي
. . . وأهوى سمو الخواطر
أحب الحياة لأني بشر      وانسان يرنو لدنيا العلاء
بآدمنا الطاهر      يناضل للارتقاء
أحب وحسبي من الحب فكرة
وحبي خيال وحلم ونجوى وعبرة      وحبي من الحسن نظرة
وحبي من الطيف خطرة
فما الحب الا نداء الحياة      واني أحب وحبي ثورة
يصور للخلد شعره      وينفث للناس عطره
هو الحب معنى الرضا والفداء
وأصل البقاء وتضحية في وفاء
لهذا أحب وحبي سناء
لأني أحيا .. لأني بشر







# الزيت

عرف الانسان الزيت وأدرك فوائده منذ زمن موغل في القدم . فقد استعمله في أغراض البناء والطلاء وتعبيد الطرق ومداواة الجروح وغير ذلك من الأغراض . ولكن بالرغم من كل هذا ، فقد ظلت مجالات استعمال الزيت وطرق الانتفاع منه محدودة نظراً لافتقار الإنسان إلى الوسائل والأساليب الاقتصادية لاستخراجه على نطاق واسع .

وفي أواخر الخمسينات من القرن الماضي ، بعد أن نجح الكولونيل «ادوين دريك» في حفر أول بئر لاستخراج الزيت من باطن الأرض ، أقبل الناس على البحث عن الزيت وبدأت الشركات والمؤسسات بممارسة أعمال التنقيب وحفر آبار الزيت لاستغلال هذه الثروة الطبيعية . ومع زحف التطور ، امتد نطاق البحث عن الزيت وأخذت معامل التكرير والمصافي بالظهور في أجزاء مختلفة من العالم لتكرير الزيت وإنتاج مشتقات عديدة منه تفي بمتطلبات الحياة واحتياجاتها المختلفة . لذا كان الزيت سمة هذا العصر ودعامة أساسية تقوم عليها الصناعة ومتطلبات الإنسان العديدة التي لا حصر لها في القرن العشرين .

# في خدمة الإنسان

يستعمل معظم الزيت الذي ينتجه العالم وقودا لتوليد القوة في المحركات وفي أغراض الاضاءة في المصانع والمساكن . وقد أحدث الوقود البترولي السائل تغيرا جذريا في حياة البشر ، اذ مكنهم من صنع محرك الاحتراق الداخلي وتطويره بحيث مهد الطريق أمام تحسين صناعة السيارة والطائرة والآلة الصناعية بوجه عام ، وتسخيرها لخدمتهم ورفع مستوى معيشتهم . ويمتاز الوقود البترولي عن أنواع الوقود الأخرى ، كالفحم والحطب ، في أنه ينتثر ويمتزج بالهواء ، ويحترق بسهولة ، احتراقا شبه كامل دون أن يخلف رمادا . كما أنه سهل الخزن والمناولة . وتنقسم أنواع الوقود البترولي الى غازات وسوائل . ويمكن تصنيف السوائل وفقا لقدرتها على التبخر الى : بنزين ، وكيروسين ، وزيت غاز ، ووقود ديزل ، وزيت وقود ، وذلك بعد أن يمر الزيت الخام المستخرج من باطن الأرض بمعامل التكرير التي تحوله بدورها الى منتجات نافعة يجري تصنيعها بواسطة : التقطير ، والتكسير الحراري ، والبلمرة ، والألكلة ، وغيرها .

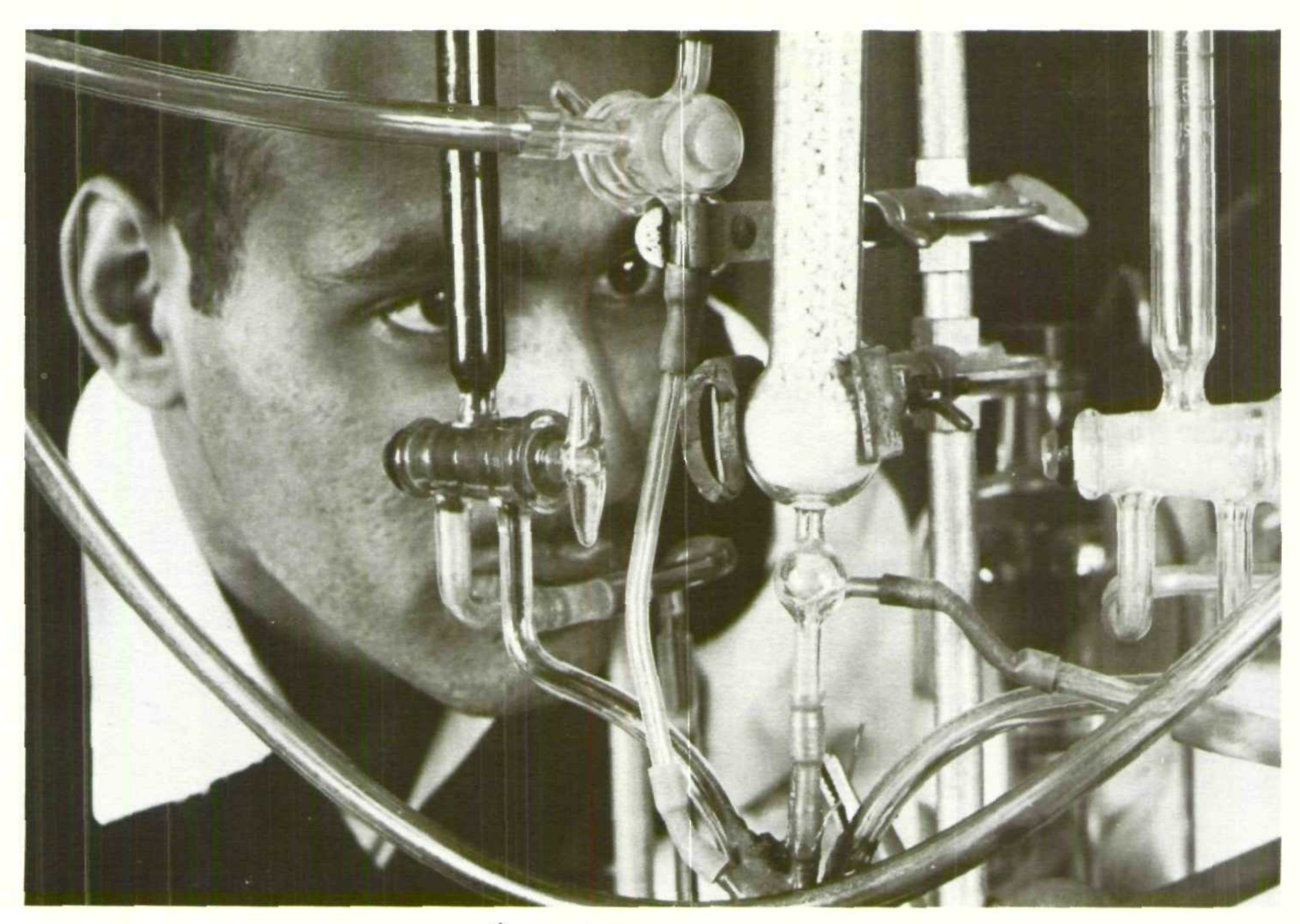
وتنقسم منتجات الزيت الى أربعة أقسام رئيسية ، هي : مواد الوقود ، ومواد التزييت والتشحيم ، والشموع ، ومركبات الأسفلت . ويشتمل كل قسم من هذه الأقسام على عدد من المشتقات ذات خصائص ومواصفات معينة تفي بأوجه معينة من الاستعمال .

أما الغاز الطبيعي ، الذي ينتج مرافقا أو غير مرافق للزيت الخام ، فانه وقود جاهز يمكن استعماله في عدة أوجه صناعية ومنزلية بعد ازالة بعض عناصره غير المرغوب فيها ، كالمركبات الكبريتية ، واستخلاص ما يحوي من عناصر سائلة مفيدة ، كالبنزين الطبيعي . ويستعمل جزء من الغاز لتوليد الطاقة اللازمة للآلات ، وكذلك كمادة خام للصناعات البتروكيماوية .

ومن ناحية أخرى ، فانه يستفاد من الغاز الطبيعي بعد معالجته بالضغط العالي ، في انتاج أصناف من غاز البترول السائل ، كالبروبان والبوتان ومزيجهما ، التي تستعمل الآن على نطاق واسع في المنازل والمصانع .

أما البنزين الناتج عن عملية تقطير الزيت الخام فلا يكاد يفي بالطلب المتزايد عليه ، نظرا لأن نسبة البنزين الموجودة في الزيت الخام ضئيلة اذا ما قيست بنسبة ما يستهلك منه . وقد جاءت طريقة التكسير الحراري بحل لهذه المشكلة ، اذ أمكن بواسطتها تحويل المشتقات الثقيلة الى بنزين ، وذلك بتعريض الهيدروكربونات الى درجات حرارة مرتفعة .

وأهم خصائص البنزين ، بصفته وقودا للمحركات ، هي درجة الأوكتان فيه والقدرة على التطاير . ويحتوي جميع أنواع بنزين السيارات والطائرات على « رابع أثيل الرصاص » أو « رابع مثيل الرصاص » أو على كليهما لضبط الدق في المحرك ، ورفع درجة الأوكتان فيه . وبنزين السيارات متوفر بدرجات من الأوكتان تتراوح بين ٧٠ و ١٠٢ ، وبقدرة على التطاير معدلة ، لتوافق الأحوال المناخية في المنطقة التي



تخضع مشتقات الزيت العديدة لسلسلة من التجارب المختبرية للتأكد من مطابقتها للمواصفات المطلوبة . ويبدو هنا أحد فنيي أرامكو يفحص عينة من منتجات الزيت الخام .

يستعمل فيها . وأنواع البنزين المعروفة ثلاثة : البنزين العادي للسيارات والعربات التجارية ذات الضغط المنخفض ، والبنزين الممتاز ، والبنزين المتناهي الجودة للسيارات ذات الضغط العالي كسيارات السبق وما الى ذلك . وأنواع بنزين الطائرات هي كذلك عديدة ، ودرجات الأوكتان فيها أعلى منها في بنزين السيارات .

أما الكيروسين فهو يستعمل للانارة وفي أغراض التدفئة والطهو . يضاف الى ذلك أن ظهور الطائرات الطوربينية النفاثة في عالم الطيران أدى الى زيادة كبيرة في استهلاك الكيروسين ، كما ان صواريخ الفضاء تستعمل وقودا أساسه الكيروسين .

وزيت الغاز ، وهو من المقطرات البترولية التي هي أثقل من الكيروسين ، يستعمل وقودا لمحركات الديزل ، وكلقيم لعمليات التكسير في معامل التكرير لتحوله الى بنزين ممتاز ذي أوكتان عال . ويدخل زيت الغاز في صنع الحوامض النفتيلية وزيت الامتصاص .

أما زيت الديزل فيستعمل في محركات الديزل والسفن . ومن أبرز خصائص هذا الوقود قدرته على الاشتعال أو درجة « السيتان » التي يتميز بها .

هذا ، وتتألف أنواع زيوت الوقود كلها أو بعضها مما يتخلف أثناء عملية تقطير الزيت الخام . وهي تحتوي على نسبة ضئيلة جدا من المواد المعدنية المتأتية من الزيت الخام أو من عملية التصنيع ، ويمكن لهذه المواد أن تكون ضارة في بعض أوجه الاستعمال . وزيوت الوقود هي على وجه العموم صعبة التبخر ، ويجري حرقها عادة لاستخلاص البخار المستعمل في تسيير السفن والقاطرات وفي توليد الحرارة ، أو كوقود لتشغيل محركات الديزل البحرية الكبيرة .

## مواد التزييت والتشحيم

لكي تؤدي الآلات والمعدات على اختلاف أنواعها وأحجامها وظائفها على الوجه الأكمل وجب استعمال مواد التزييت والتشحيم المتنوعة ، منعا للاحتكاك بين الأجزاء المتحركة وتسهيلا لحركتها. وقد كانت مواد التزييت والتشحيم في وقت مضى تقتصر على الزيوت والدهون الحيوانية والنباتية ، الا أن المتطلبات العصرية من حيث طبيعة مواد التزييت والتشحيم وكميتها جعلت من البترول مصدرا رئيسيا لانتاج هذه المواد .

ويمكن انتاج مواد التزييت بوسائل التكرير الحديثة من معظم أنواع الزيت الخام . وتتدرج مواد التزييت في تنوعها من الزيوت ذات اللزوجة الخفيفة ، الى الزيوت الثقيلة اللزوجة . وأوجه

استعمال مواد التزييت لا حصر لها ، كما أنه يستحيل انتاج هذه الأصناف جميعها من الزيت الخام مباشرة . لذلك فانه يلجأ الى تصنيع عدد محدود من أنواع الزيوت الرئيسية ذات خصائص ومواصفات معينة . وأهم خصائص مواد التزييت درجة لزوجتها التي تحدد درجة الاحتكاك الداخلي أو القدرة على السيلان ، والتي تقرر الى حد بعيد صلاحها لوجه معين من أوجه الاستعمال .

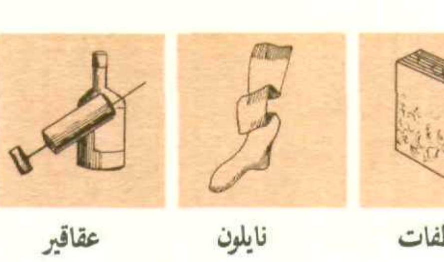
وهناك أنواع أخرى عديدة من الزيوت يتم صنعها بوسائل مختلفة ، منها : الزيوت البيضاء ، وتعالج عادة بالمذيبات وبحامض الكبريتيك أو بالأوليوم أو بمادة قلوية بصورة متكررة . ويصنع من هذه الزيوت نوعان : الزيوت الطبية وتدخل في صناعة المستحضرات والأدوية الطبية بالاضافة الى استعمالها في تركيب مستحضرات التجميل ، وكمواد لتزييت آلات مناولة الطعام . والزيوت الفنية البيضاء ويصنع منها أصناف عديدة متفاوتة اللزوجة تستعمل لتزييت آلات مصانع النسيج وغيرها . الا أن هذه الزيوت تستعمل بوجه خاص في صناعة مستحضرات التجميل ، اذ تصنع منها زيوت ودهون الشعر والمراهم والكريمات والزيوت العازلة . وكذلك تستعمل في رش المزروعات ، وفي تشريب بعض أنواع ورق التغليف .

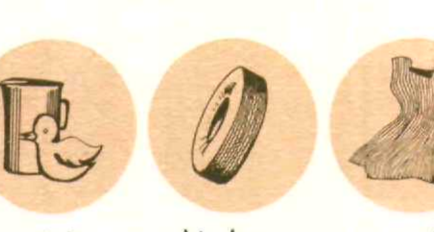
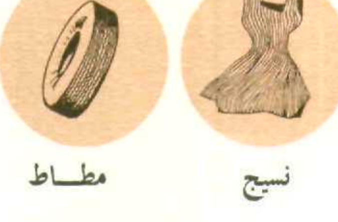
والشحوم مواد صلبة أو شبه صلبة تصنع بتغليظ مواد التزييت ومزجها بالصابون أو الصلصال أو غير ذلك من المواد الثقيلة . وتستعمل مواد التشحيم هذه على اختلاف أنواعها على نطاق واسع لأغراض متعددة في السيارات والطائرات والصناعة . ويتوقف اختيار أنواع مواد التشحيم على متطلبات أوجه الاستعمال التي تتأثر بعوامل السرعة والحمل والحرارة .

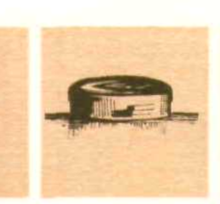
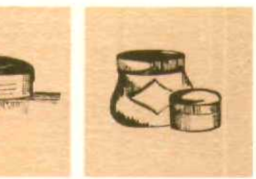
## شموع البترول

تحتوي بعض أنواع الزيت الخام ، لا سيما البارافينية منها ، على هيدروكربونات شمعية صلبة . وعند تقطير نوع من هذه الزيوت يتقطر بعض الشمع الذي يحويه هذا النوع . وشموع البترول مواد بلورية صلبة تتكوّن في درجات حرارة الجو العادية . وجوهرها واحد ، الا أنها تختلف من حيث التركيب . ويمكن تصنيفها الى صنفين رئيسيين ، هما : الشموع البارافينية

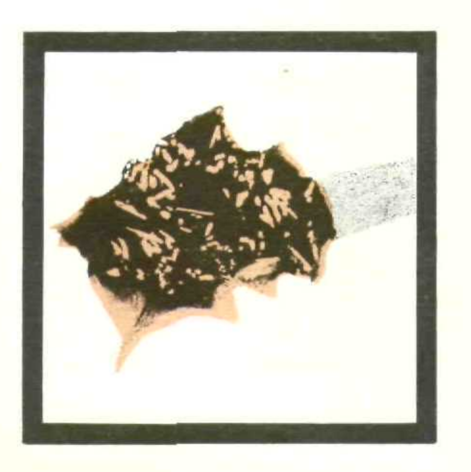




شحوم « كالول – ٧٠٠١ » المقـاومة للحرارة والاحتكاك مـن أصناف شحوم الطائرات النفاثة التي تفوق سرعتها سرعة الصوت والتي اشتقت من الزيت الخام .

ويقرب لونها من اللون الأبيض ، وتحوي نسبة من الزيت أكبر بقليل مما تحويه الشموع البارافينية المكررة تكريرا كاملا ، ومنها شموع الانارة وشموع عيدان الثقاب . وهي توجد في بعض الأحيان كمستحلب مائي يستعمل بصورة خاصة في تغليف أو تشريب المواد الليفية ، كالأنسجة والورق ، وفي طلاء المباني بطلاء مقاوم لتسرب الماء . والشموع البلورية التي توجد أحيانا بيضاوية اللون ، الا أنها في العادة تبدو صفراوية أو عنبرية أو بنية أو سوداوية اللون .

وتدخل شموع البترول عامة في صنع الكبريت ، ومواد التلميع ، والمواد العازلة ، والشمع الطبي ، ولبان المضغ ، والمراهم ، ومواد التجميل ، والجلاتين وغيرها .

## مركبات الأسفلت

الاسفلت أو « البيتومين » مادة بترولية ثقيلة تنشأ عن عملية تقطير الزيت الخام ، وهي سوداء أو بنية اللون داكنة تتدرج في تكوينها من مادة شديدة اللزوجة الى مادة شبه صلبة في درجات حرارة الجو العادية ، وذلك تبعا لمقدار الأجزاء الخفيفة التي تسحب منها . وتحتاج غالبية أنواع الاسفلت الى مراحل اضافية من المعالجة لجعلها مطابقة للمواصفات المطلوبة . وهو يستعمل ، بالاضافة الى تعبيد الطرق ، كطبقات عازلة في الأسقف والأرضيات تحول دون تسرب الماء والرطوبة . كما يستخدم في صيانة الصهاريج والخزانات ، وذلك بطلاء جدرانها الداخلية به لوقايتها من الصدأ . وكذلك في تغليف الأنابيب المغمورة لوقايتها من التآكل والتلف .

والاسفلت من أهم المواد العازلة في صناعة الكهرباء عامة ، فهو المادة المثالية لعزل الأسلاك الكهربائية المطمورة ، ولمنع تسرب الماء والرطوبة الى الأنابيب التي تمتد فيها هذه الأسلاك ، ولعزل صناديق التوصيلات في التركيبات ذات التيار العالي . ويستعمل في الأشرطة العازلة . ويساهم الاسفلت بنصيب فعال في صنع مواد الدهان والطلاء ، وفي أحذية الألعاب الرياضية .

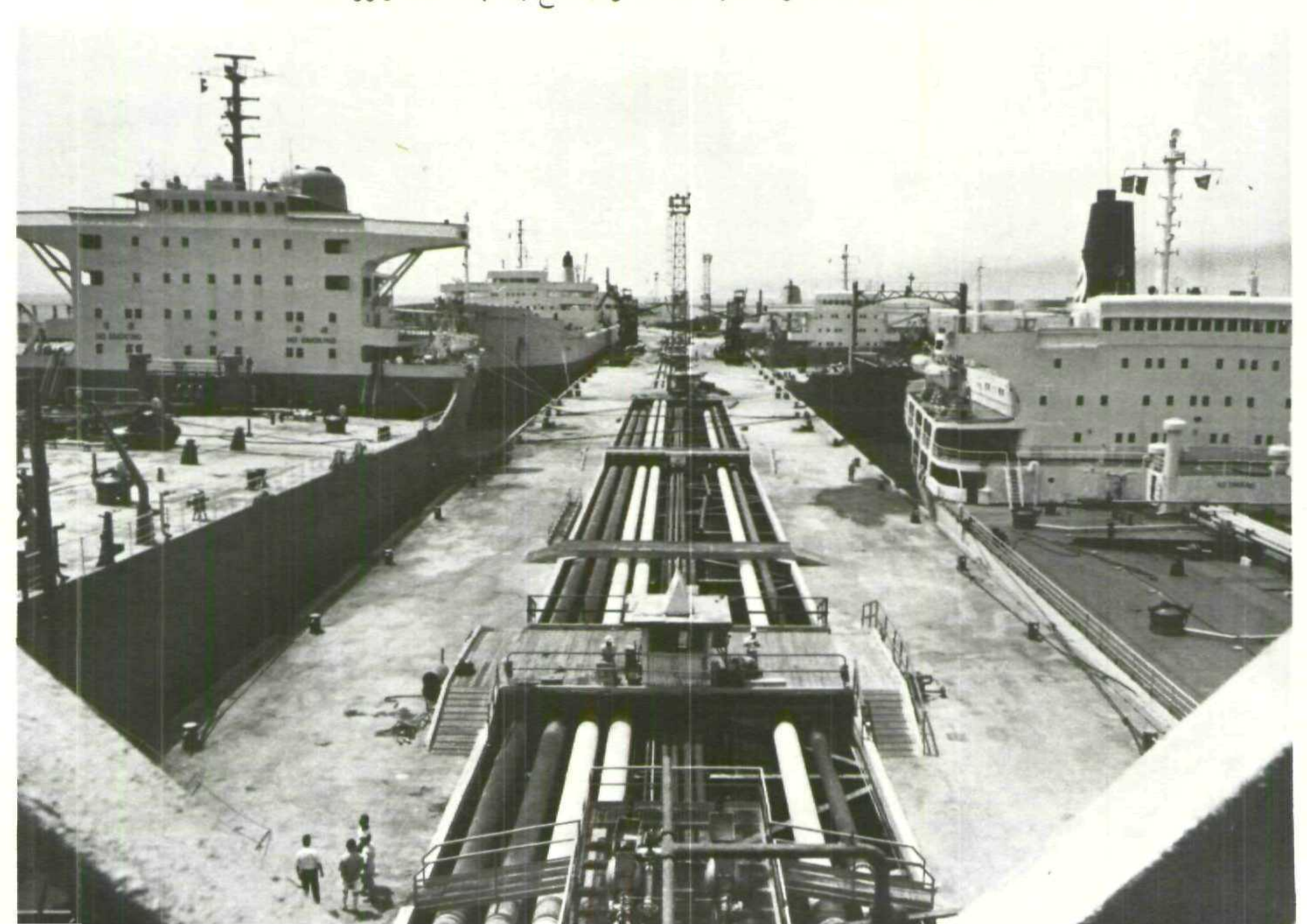
## المشتقات البتروكيماوية

اتسعت صناعة البترول ومنتجاتها الكيماوية بحيث أصبح يصنع منها الآن عدد لا يحصى من المواد التي نستعملها في حياتنا اليومية مثل اللدائن (البلاستيك) ، والمطاط الاصطناعي ، والانسجة الليفية ، ومواد الغسل والتنظيف التي تغني عن الصابون والأسمدة الكيماوية ، ومبيدات الحشرات ، والأدوية ، وغيرها من آلاف المنتجات المختلفة التي تفي باحتياجات العصر الحديث ، وما زالت المختبرات العلمية تدرس امكان انتاج المزيد من المواد الجديدة التي لم تعرف من قبل .

لقد تطورت الكيمياء تطورا ملحوظا بعد اعتمادها على البترول في ابتكار مواد جديدة . ويستعين الكيماويون بعمليات التكسير ، والخلط ، والتقليب ، والتفاعل مع مواد كيماوية أخرى وبالحرارة والضغط في تحويل الجزيئات الهيدروكربونية التي يتكون منها الزيت الخام الى مواد عضوية ومواد غير عضوية ■

**سليمان نصر الله**

الناقلات الضخمة تؤم فرضة رأس تنورة لتحمل زيت المملكة العربية السعودية ومنتجاته العديدة الى الأسواق العالمية لتمد المعامل والمصانع بمتطلبات الطاقة والوقود .






لقاء مع

# الأستاذ الأديب عبد الله بن خميس [1]

حول

## * الأدب في الجزيرة العربية
## * والأدب المعاصر عموما
## * والشعر الحديث

**اجراء الاستاذ محمد وليد فستق**

اذا جاز لنا أن نصنف أدباء العربية الى فئات فيمكننا حصرهم في ثلاث : فئة تعيش في تراث الماضي دون أن تلقي مجرد نظرة على ما يدور ويجري في حاضرها من تيارات فكرية . وفئة ثانية تنغمس انغماسا كليا فيما أنجبته بطون الأيام الأخيرة من آداب ، فلا تنهل من كشوف القديم من الكتب . وفئة ثالثة تلم بتراث الماضي العتيد ونتاج الحاضر الجديد معا ، وتتجه من ثم – في آرائها وأبحاثها – الى ما تراه الأدب الأسلم والأصوب والأجود ، سواء أوغلت جذوره في محابر الأقدمين ، أو فاحت أوراقه وزهوره بمداد المحدثين .. وأديبنا ينتمي الى هذه الفئة الأخيرة .

لم يقاطعنا أحد ، اللهم الا ساق كان يحمل من القهوة لذيذها في أكواب دقيقة التدوير والتكوير ، وطالب حاجة لم يخطىء موطىء قدمه ، ولم يطل به المقام ليبلغ حاجته .

ودار حديث طويل ومسهب ، أفسح لي مجال إلقاء الأسئلة المباشرة والعفوية ، استهللتها بالسؤال التالي :

* **هل تعتقدون بأن الجزيرة العربية لا زالت تحتل مركز الصدارة في الأدب العربي ؟**

ما من أحد يدعي بأن الجزيرة العربية في حاضرها تحتل مركز الصدارة بالنسبة للبلدان العربية في المجال الأدبي ، بل ولا يدعي انها قد جارت أخواتها المتقدمات في هذا المجال . وكأنني أفهم من سؤالك انك تشير الى ماضي الجزيرة العربية ، وما بلغه عربها من السمو الأدبي ، وايجاد هذا التراث الضخم من الأدب .. كأنك تعني : هل أولئك العرب الأقحاح الذين خلفوا لنا هذا التراث لا يزال أولادهم وأحفادهم يرثون عنهم السليقة الصافية ، والأدب الطبيعي ، واللغة السليمة ، وسرعة الخاطر ، وتوقد الذكاء ؟

* **نعم أعني هذه الناحية .**

من هذه الناحية أرى أن الجزيرة العربية لا تزال تعتز وتعتد بهذه الظاهرة .

* **وما رأيكم من حيث الانتاج ؟**

من هذا ، ومن حيث صقل المواهب واستثمار العبقريات عن طريق الثقافة والتحصيل وعن طريق التركيز والدرس ، فهذا ما لا تزال الجزيرة العربية متخلفة فيه . وأعتقد انه بشيء من الصقل والمزاولة والمعاناة والعودة الى النبع الصافي لتراثهم ، سوف يحيى أبناؤها ما اندثر ، ويلحقون بالركب .

* **وما أسباب هذا التخلف ؟**

لهذا التخلف أسباب ، منها : أن الجزيرة العربية حينما اختلطت بالأمم الأخرى عن طريق الغزو والتجارة والحج والسياحة والمصاهرة ، داخل لغتها ما داخلها من اللكنة الأعجمية ، وغمز لغتها الصافية ، فبدلا من أن يقول شاعرهم الشعر على سجيته وطبيعته بدون تكلف ولا تعمد ، وبدلا من أن يقف أحدهم خطيبا لا يتلعثم في خطابه ولا يلحن .. فهو في هذا وفي ذاك ، وفي غيره من المجالات الأدبية أخذ يتلقى لغته وأدبه عن طريق الدرس والتحصيل والمعاناة ، وفرق بين من يصدر أدبه عن طبيعة ، وينطلق عن سجية ، وبين من يروض نفسه على الأدب ، ويرضخها للقاعدة .

* **أثمة أسباب أخرى تعود الى أيام الخلافة مثلا ؟**

لقد اتخذت الخلافة الاسلامية العواصم العربية المجاورة للجزيرة مراكز رئيسية لادارتها ومنطلقا لفتوحاتها ، وقواعد للأمة الاسلامية في المجالات كافة في حين أن الجزيرة العربية أصبحت في عزلة أو شبه عزلة عن هذه العواصم ، مما جعل أدبها ، وبالتالي لغتها تلين وتنكمش . والأدب كما هو معروف ، نتيجة الحفز والتشجيع والاثارة .. ألم تر ما قيل عن أبي الطيب المتنبي :

لئن جاد شعر ابن الحسين فانما
تجود العطايا واللهى تفتح اللها ؟

فالجزيرة العربية أصبحت في شبه عزلة ، لا من حيث حياطتها والعناية بها اداريا وماليا بل ومن حيث عدم المحافظة على ثقافتها واصالتها وسموها ..

* **هل لديكم أسباب أخرى تريدون اضافتها الى الأسباب السابقة ؟**

---

(١) شغل الأستاذ الأديب في حياته العملية عدة مناصب مهمة من بينها منصب مدير كليتي الشريعة واللغة في الرياض ، فالمدير العام لرئاسة القضاة ، فوكيل وزارة المواصلات ، فمدير عام مؤسسة الجزيرة للصحافة والطباعة والنشر ، وأخيرا منصب رئيس مصلحة المياه في الرياض الذي لا يزال يشغله .
* أما في الحقل الأدبي ، فقد ساهم بمجهود كبير في الحركة الأدبية في المملكة ، شعرا ونثرا ، كما أصدر مجلة « الجزيرة » التي ظلت قيد الصدور مدة أربع سنوات . وله ديوان شعر مخطوط ، وبعض المؤلفات المطبوعة منها « الأدب الشعبي في جزيرة العرب » ، و « شهر في دمشق » ، ثم مخطوط « المجاز في اليمامة والحجاز » . وقد مثل بلاده في عدة مؤتمرات أدبية .

نعم . أضيف ما أصاب الأمة العربية في سائر أقطارها من تأخر نتيجة تفرق الكلمة واختلاف الأهداف . وكذلك أضيف اننا ندرك أن الركيزة الأصيلة للأدب العربي هو القرآن الكريم ، فهو نبع ثر تستمد منه الفصحى سموها ورقيها وأصالتها ومناعتها ، ونحن ندرك ما أصاب الاسلام في عصوره الأخيرة من تخلف ، فكان تخلف الأدب بطبيعة الحال نتيجة لهذا التخلف .

**• ما هو اذن طريق الجزيرة العربية للخروج من العزلة التي أتيتم على ذكرها للحاق بالركب ؟**

أعتقد أن الطريق لذلك يبرز في عوامل عدة :

– الالتفات الى اللغة العربية بالعناية والرعاية درسا وتحصيلا واحياء للتراث وحملا للناشئة على الحفظ لهذا التراث وتحبيبهم له .

– ان تعنى الجهات المسؤولة عن التعليم والاعلام والوعظ والارشاد بالمحافظة على لغة الضاد ، وبذل المستطاع في كل ما من شأنه اداء هذه الرسالة والسير بها الى المستوى اللائق بها .

– على الصحافة ووسائل الاعلام وحملة الأقلام أن يحملوا رسالتهم وأن يحيوا ما اندثر من لغتهم ، وأن يمكنوا لغيرهم الأجواء الملائمة للسمو بلغتهم وأدبهم . هذا من حيث العمل من أجل الأدب واللغة .. وشيء آخر وهو أن تفتح المجالات الرامية للتجميع والتركيز بشكل منتديات وجمعيات أدبية ودور نشر ، وأن تكون هذه واسطة للاتصال بمثلها في البلدان العربية على أساس مزج الانتاج ، وعلى أساس الافادة والاستفادة ، وعلى أساس أن يقرأ العرب الغير ويقرؤهم الغير ، وأن يستفيدوا من الأفكار والاتجاهات الأدبية السليمة ، وينتقل أدبهم من الحيز المحدود الى الحيز اللامحدود .

**• هذا ينقلنا مباشرة الى التحدث في الأدب العربي المعاصر . فما هي ملامح هذا الأدب في نظركم ؟**

يتسم الأدب العربي المعاصر بالسهولة والرقة والبساطة من ناحية ، ويتسم بالتقليد والمجاراة لآداب الأمم الأخرى ، كما يتسم بعقوق الفصحى كثيرا . وقد يكون من ملامحه أيضا الميل الى تطعيم الأدب العربي بأفكار وأخيلة وآراء لم يعرفها الأدب العربي من قبل .

**• هل نستطيع الذهاب الى ان الجزيرة العربية قد شهدت أدبا من هذا القبيل ؟**

لا . لأن أدب الجزيرة سابقا يمتاز بالعمق في تفكيره والأصالة في لغته والمرونة في أسلوبه .. وهذا ما يجعل حدا فاصلا بينه وبين أدب اليوم .

**• اذن نستطيع أن نستنتج ان الأدب العربي المعاصر أدنى مكانة من قديمه ؟**

من نواحي التقليد والمجاراة وعقوق الفصحى ، على نحو ما أشرت ، نعم .

**• وأدب الجزيرة المعاصر .. أله ثمة خصائص تميزه عن سواه من أدب الأقطار العربية الأخرى ؟**

ان أدب الجزيرة العربية المعاصر لا يخرج عن نطاق الأدب العربي المعاصر عموما اذا استثنينا بعض الأعلام من أدباء الجزيرة الذين لهم أسلوبهم الرصين وميزتهم من حيث سلامة التعبير ، وصدق اللهجة ، وسمو التفكير .

**• من الملاحظ أن هذا الأدب لا يتجاوز في العادة حدود الجزيرة كثيرا ، فما هي الأسباب الكامنة وراء عدم وصول الكتاب المحلي الى الأقطار العربية الأخرى ؟**

قلنا في جواب سابق أن أدب الجزيرة العربية في حاجة الى تجميع وتركيز عن طريق المنتديات والجمعيات والروابط الأدبية ، وعن طريق دور النشر والصحافة السليمة المعبرة المقروءة داخل البلاد وخارجها . فاعتقد أن من أبرز الوسائل وأجداها لنشر أدب الجزيرة وقراءته خارج الحدود هي توفر هذه العوامل ، والرغبة من القارىء العربي ، عن طريق هذه الجوانب الموجودة فيه ، في أن يقرأ أدب أمته حيثما كان ، ليحصل اللقاء الفكري والامتزاج الأدبي بين أدباء الأمة العربية في جميع أقطارها .

**• اذن لا يعود عدم انتشار الأدب المحلي الى ضعف فيه ؟**

لا ندعي ، كما قلنا سابقا ، لهذه الجزيرة بصفة أدبية متكاملة تسلكها في صفوف الآداب العالمية الأخرى ، الا أنه بالنسبة لكثير من البلدان العربية يسير جنبا الى جنب معه ، فلا أعزو عدم انتشار أدب الجزيرة في البلدان العربية الأخرى الى ضعف الانتاج وقلة تكامله .

**• لا ريب ان هناك ألوانا معينة من الأدب يركز عليها أدباء الجزيرة ، فما هي هذه الألوان في نظركم ؟**

نستطيع القول بأن الأدب في الجزيرة العربية يرتكز على جوانب قد يكون هو المنفرد بها دون سائر البلدان العربية الأخرى .. فهناك أدب المقالة ، وهناك التركيز على خدمة التراث تحقيقا وتحليلا . ولعل من المفيد القول بأن كثيرا من الأقلام هنا تركز على الجانب الاسلامي بأصوله الغنية بالركائز الأدبية المفيدة ، وهذا لا يعني عدم مشاركة أدب الجزيرة في الجوانب الأخرى ، ولكن أكاد ألمس هذه الظواهر بارزة فيه .

**• ولكن ما هو مدى تلاقي هذه الألوان وأذواق القراء ؟**

هناك من يقول أن الكاتب يكتب ليتملق أذواق القراء ويستميلهم ويسير حيث يريدون . وهناك من يقول أن الكاتب المفكر بمثابة المعلم الروحي والطبيب الحاذق يتلمس جوانب الضعف ، ويتلمس مكامن الداء ، فيحاول التركيز عليها ، ويجعل هؤلاء الذين يتولى تربيتهم أو علاجهم شغوفين به متعلقين بتربيته أو تطبيبه . وهذا الصنف الأخير في نظري هو ما ينبغي أن يتوافر في كل أديب يحاول خدمة أمته ووطنه ، ويسير بهم على النهج الأسلم حتى النهاية . ففي الجزيرة من هم على هذه الشاكلة يحاولون أن يتخولوا قراءهم بالتوجيه والقيادة الفكرية المستنيرة . وأعتقد أن هذا الصنف من الكتاب يمتازون بمكانتهم وسموهم وتعلق القراء بهم .

**• هل ترون بوجود أدب خاص بالخليج العربي ؟**

لا .

**• وما هي مبرراتكم في ذلك ؟**

ان الخليج العربي جزء لا يتجزأ من هذه البلاد فكرا وثقافة واتجاها ، ولا أستطيع أن أميز منطقة عن منطقة في جانب من جوانب الأدب أو أفردها عن أخواتها .

**• أليست هناك فكرة لانشاء اتحاد للأدباء العرب في الجزيرة العربية ؟**

تعتمل مثل هذه الأفكار في أذهان الأدباء ، ويودون أن يكون هناك اتحادات أو روابط توحد نتاج أدباء الجزيرة وتلتقي فيها أفكارهم وتكون وسيلة لابراز هذا الأدب على نحو سليم مقروء . وأعتقد أنه لا يبطىء الزمن الذي يوجد فيه مثل ذلك .

**• ترى ما هي المقومات التي ينبغي توافرها في الأديب حتى يكون عضوا في هذا الاتحاد ؟**

لا نريد أن نتعجل الشيء قبل وقوعه ، ولكن هناك جانبان يتنازعان هذا الاتحاد . فهناك من يقول أنه يجب أن تلتقي فيه سائر الأقلام والأفكار شادية أو مكتملة ، من أجل جمع شتيت هذا الأدب واتحاده في قاعدة واحدة ، يكمل بعضها بعضا . وهناك من يقول أن من المفروض في هذا الاتحاد أن يكون أعضاؤه من القدرة والنضج والمكانة التي تؤهله لقيادة الأدب في بلاده وزعامته ، وليكون محل الاحترام والتقدير داخل البلاد وخارجها . وأفضل أن يكون النوع الأخير من الاتحادات في بلادنا هو المتبع .

**• تنعقد بين عام وآخر مؤتمرات للأدباء العرب . وقد مثلتم – مع أدباء آخرين – وفد المملكة في أكثر من مؤتمر . فما هو المعول عليها في رأيكم ؟**

المؤتمرات في حد ذاتها ، لو خلصت النية ، وصدرت الرغبة الملحة على أساس أن تكون للأدب ولخدمة الأدب ، لكانت سديدة ومفيدة . أما أن تصدر هذه المؤتمرات بدوافع ونوازع وأفكار تخدم أغراضا معينة فهذا ما يجعلها بدلا من أن تأتي بثمار مفيدة ونتائج طيبة ، تبعد الشقة وتأتي بنتائج عكسية .

* أليست لهذه المؤتمرات صورة أخرى ، أو وجه آخر ؟

نحن لا ننكر من حيث الشكل ما يلقى في هذه المؤتمرات من بيان رصين ولغة جذابة شيقة ، ولكنها لا تعدو ذلك الى ما هو مراد منه .

* وما نتائجها ؟

هل سمعت يا أخي عبر هذه السنين التي تعقد فيها هذه المؤتمرات انها أتت بنتائج قليلة أو كثيرة ، سمينة أو هزيلة في عالم العرب ؟ ..

* هل تعتقد بأن المملكة سوف تشترك في المؤتمرات الأدبية القادمة ؟

المملكة تسعى جاهدة لرأب الصدع واللقاء على أساس السماح والأخوة وسلامة الصدر وسل السخيمة .. ولا أستبعد–وهذا مبدأها– أن تسعى لترسيخ هذا المبدأ وتجاوز كل ما من شأنه التفرقة وبعد الشقة .

واستمر الحديث في تناغم وانسجام ، وفي خلوة كنت أخشى ما أخشاه أن يعكر صفوها اقدام زائر أو طالب حاجة . ولكنها استمرت كما بدأت .. صافية ، لم يقطعها سوى تردد الساقي الذي كان يمدنا بين حين وحين بما يبلل الشفاه ويرطب الألسن .

* تتجه الدراسات العربية الحديثة الى احياء التراث الاسلامي القديم . ولما كانت مكتبات المملكة الخاصة منها والعامة ، تزخر بالعديد من المخطوطات القيمة ، فهل ثمة اتجاه نحو تحقيقها وطبعها في قالب جذاب حديث ؟

من توصيات المؤتمرات الأدبية السابقة ، أن يعنى بهذه المخطوطات ، وأن تستفيد الأمة العربية والاسلامية منها كتراث ضخم جمع في هذه المكتبات عبر القرون المتتالية .. فابراز هذه المخطوطات الى حيز الوجود بطريقة الحصول عليها بالشراء أو الاستنساخ أو الاعارة أو بأي شكل من الأشكال أمر متعين . ولا أكتمك ان هذا ما يتأثر منه حملة الأقلام وأعلام الأدب في هذه البلاد ، فعسى أن يأتي اليوم الذي يستفاد فيه من هذه الكنوز المطمورة .

* يذهب البعض باصرار الى ان غاية التحقيق هو « تقديم المخطوط تقديما صحيحا كما وضعه مؤلفه ، دون شرحه » في حين نجد ان سواد المخطوطات المحققة قد ذيلت بالشروح وترجمات الاعلام والتعليقات المختلفة . فالى أي الاتجاهين تميلون ؟

هذان قولان كل منهما صائب . واذا جمع المحقق بينهما فقد جمع بين الحسنيين ، يحافظ على الأصل نصا ، ويخدمه شكلا ، ويفيد منه شرحا وتعليقا ، ولكننا ويا للأسف ، نرى كثيرا من المحققين يخبطون ويخلطون فيجيء الكتاب صورة مشوهة .. فلا هو بالباقي على أصله كأثر مفيد ، ولا هو بالمخرج مخرج التحقيق السليم .

فلقد رأينا بعض التراث الذي يزعم بعض من أخرجه انهم حققوه ، فاجتهدوا في تحريف بعض الكلمات من أصلها الى غلطها ، وتغيير بعض النصوص من حرفيتها الى الخلط فيها .. وقد قيل :

**أوردها سعد وسعد مشتمل**
**ما هكذا يا سعد تورد الابل**

وبعد هذا الحديث المسهب عن الأدب العربي المعاصر انتقلنا الى الحديث عن الشعر الحديث :

* من المعروف انكم تقرضون الشعر الموزون المقفى ، فهل لكم قصائد في الشعر الحديث ذي الوزن الحر ؟

لا .

* لماذا ؟

الشعر العربي فن من الفنون الأصيلة التي توارثتها الأمة العربية خلفا عن سلف ، وفرضت نفسها على الوجود العربي منذ الأزل . وليس ثمة فن من الفنون العربية لازم العروبة منذ فجر التاريخ وسايرها عبر مئات القرون كالشعر . فالشعر فن الأمة العربية وموسيقاها .. الشعر نغمة يبدأ بها العربي منذ نعومة أظفاره ولم تزل تتدرج معه حتى اليوم .. الشعر رفيق يعبر فيه الناشىء عن طفولته ومسارحه ، ويعبر فيه الفتى عن حبه ووجده ومدارج صباه ، ومرابع أنسه ، ويعبر فيه الرجل عن شجاعته ومروءته ووطنيته وآماله وآلامه ، ويعبر فيه الشيخ عن تجاربه وحكمته .

واذن فهذا الشعر الذي لازم هذه الأمة طيلة هذه القرون وجعلته هجيراها ومنطلقها ، وهذا الفن الموزون المقفى ذو الموسيقى المؤثرة والجرس الرتيب هو الذي يهز المشاعر والعواطف ، ويحرك أوتار القلوب ..

لقد تأبت صخرته على المنكرين والمتحذلقين ، وأبت صورته أن تلين للغامزين ، فأتوه « بالموشحات » و « الموال » و « القوماقوما » وغيرها من الفنون المستجدة ، وظنوا انها سوف تزاحمه ، ولكنه تركها رهينة الخوى والطوى ومن ثم الموت . وأبى تقليد هذا القرن الا أن يأتيه ببدعة جديدة ، فسموها الشعر الحر أو الشعر المنثور أو ما لا أدري ، وذهبوا فيها كل مذهب ، وحاولوا جاهدين أن يرضخوها للذوق العربي ، فبعضهم جعله كلمات متنافرة على شكل مقاطع ليوهم انه شعر ، وبعضهم التزم التفعيلة ولكنه جعلها كالقميص المرقع ينقلها من هنا الى هناك ، وبعضهم قاله موزونا مقفى ونثره لكي يجاري البدعة الجديدة .

* والتأثير ؟

لا هذا ولا ذاك ولا ذلك بلغوا من التأثير في ذوق الأمة العربية وسليقتها ما بلغ من ينطح صخرة الأعشى .. أو الشعر .

**كناطح صخرة يوما ليوهنها**
**فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل**

* وما رأيكم في الشعراء الجدد ؟

هذه البدعة الجديدة جعلت من ليس بشاعر شاعرا ، وجعلت من ينقطع اذا تفيح الميدان واستطال الطريق ، جعلته يلحق بركب الشعراء الموهومين المزعومين

* قلتم بأن الشعر هو هذا النغم الذي يهز المشاعر والعواطف ويحرك أوتار القلوب . فماذا اذا كان البعض منا يتجاوب مع بعض الشعر الجيد الموزون غير المقفى مثل هذا التجاوب ؟

أعتقد ان المتنبي غير مخطىء حينما قال :

**ألح علي السقم حتى ألفته**
**ومل طبيبي جانبي والعوائد**

فهذا اللون من الشعر ربما حاول بعض عشاقه أن يروضوا أنفسهم عليه ويصطنعوا تأثيره ، فكان ..

* بعد رحيل الشاعر الأخطل الصغير الى الدار الآخرة ، من ترشحوا لأمارة الشعر ؟

الشعر – في نظري – بالنسبة للبلدان العربية كالهزار ، يرتاد مواطن لهوه ، ومغاني طربه ، وخفض عيشه . ولدته الجزيرة العربية ، وانتقل منها بعد قرون الى الشام والى مصر ، والعراق . وألف لبنان جوها الساهر ومناظرها الخلابة وفتنتها ، يذهب ويعود اليها ، ولا يزال يعشقها .. وان نأى عنها فسيعود .. واني لأراه أخيرا قد نزع الى الرافدين ، ولم يزل .. وما سمعته وأسمعه من شعراء العراق يكاد يجعلني أحكم بأنها اليوم أميرة الشعر العربي ، بدلا من الأمارة الفردية .

* تردد في الصحف والمجلات الأدبية في الفترة الأخيرة تعبير « أدب مقاومة » عما يصاغ من نثر وشعر وطنيين متصلين بالقضية العربية ، ومناصرين للفداء والتضحية .. فهل تتفقون مع هذا التعبير كصفة لأدب مميز ؟

المقاومة بمعناها المعجمي المفهوم لا أستطيع أن أقول أن هناك أدبا يحمل هذه الميزة خاصا بها .. انما الأمة العربية في دورها النضالي أدبها أدب مقاومة ، يصلح أن يكون منطلقا لهذا الأدب وركيزة من ركائزه .

والأديب كائن يستطيع أن يجعل من أمته كيانا متكاملا قوي البنية ، سليم الأسر ، شديد الفعالية ، ويجعل منها صرحا متمردا يأبى التنقير والتصدع .. ■

# العرب والفروسية

« الخيل معقود في نواصيها الخير الى يوم القيامة »
حديث شريف



كان العرب يعنون بخيولهم ويفاخرون باصالة نسبها مفاخرتهم بشعرائهم وفرسانهم . وقد احتلت الخيل أعلى المراتب في شعر الجاهليين ، فأكرموها وأعزوها وحفظوا مكانتها في اسلامهم . والعربي ابن البادية فارس بطبعه تجري الفروسية في عروقه .. وعى أول ما وعى صهيل الجياد وهي تنهب الفيافي ، وتقطع القفار ، وتخوض غمار المعارك والوقائع لتعود منها ظافرة غانمة . وارتبطت فروسية العربي ارتباطا وثيقا بجوانب أخرى من الرياضة ، فهو فارس أولا وقبل كل شيء ، وهو سبّاح ماهر ، ورام قدير . ومن أقوال عمر رضي الله عنه « علموا أولادكم السباحة والرماية ، ومروهم فليثبوا على ظهور الخيل » . والنبي عليه الصلاة والسلام كان من أفرس الفرسان وأشجعهم .

وقبل الاسلام كان من العرب فرسان بارزون فاخروا بأفراسهم وجيادهم ، ودبّجوا في وصف خصالها وحسناتها القصائد والمعلقات ، فها هو عنترة بن شداد فارس بني عبس يقول :

**ولــرب مشعلــة وزعــت رعالهــا**
**بمقلص نهــد المراكــل هيكــل**
**سلس المعــذر لاحــق أقرابــه**
**متقلــب عبثــا بفــأس المسحــل**
**نهــد القطــاة كأنهــا من صخرة**
**ملساء يغشاهــا المسيــل بمحفــل**

الى أن يقول :

**سلس العنــان الى القتــال فعينــه**
**قبــلاء شاخصة كعيــن الأحــول**
**وكــأن مشيتــه اذا نهنهتــه**
**بالنكــل مشيــة شــارب مستعجل**
**فعليــه اقتحم الهيــاج تقحمــا**
**فيهــا وأنقــض انقضاض الأجدل**

وعمرو بن كلثوم فارس تغلب يقول في معلقته المشهورة :

**وتحملنــا غداة الــرّوع جــرد**
**عــرفن لنــا نقائــذ وافتلينــا**
**وردن دوارعــا وخرجــن شعثــا**
**كأمثــال الرصائــع قــد بلينــا**
**ورثنــاهن عــن آبــاء صــدق**
**ونــورثهــا اذا متنــا بنينــا**

ولأمرئ القيس أبيات مشهورة في وصف حصانه حيث يقول :



جلالة الملك المعظم يحيط به الأمراء والوزراء في حفل سباق الخيل في الرياض ، وقد بدت أمامه الكأس لتسليمها للفائز في السباق .

**وقـد أغتدي والطير في وكناتـهـا**
**بمنجـرد قيـد الأوابـد هيكـل**
**مكرّ مفرّ مقبـل مدبـر معـا**
**كجلمود صخر حطه السيل من علِ**
**على الذبـل جياش كـأن اهتزامه**
**اذا جـاش فيـه حميه غلي مرجل**
**لـه أيطلا ظبي ، وساقـا نعامـة**
**وارخـاء سرحـان ، وتقريب تتفل**

وحمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه يتمثل بحصانه « ورد » شعرا ، فيقول معتزا به :

**ليس عنـدي الا سلاحي وورد**
**قـارح مـن بنات « ذو العقـال »**
**التقـي دونـه المنايـا بنـفسي**
**وهـو دونـي يغشى صدور العوالي**
**فإذا ما هلكـت كان تـراثي**
**وسجـال محمـودة مـن سجـالي**

وبعد ظهور الاسلام ازداد العرب اهتماما بالخيل ، فكان لها أعلى المراتب في نفوس المسلمين ، والمجاهدين منهم خاصة ، على الرغم من أن ذكرها لم يتردد كثيرا على السنة الشعراء في فجر الاسلام لضعف الشعر عامة خلال تلك الفترة وانشغال المسلمين بالفتوحات . فلما كان العهد الأموي والعباسي من بعده نبغ عدد من الشعراء الذين قالوا القصيد في أغراض متعددة ، منها الفروسية والخيل . فهذا أبو العلاء المعري قال في وصف فرس :

**كـأن أذنيـه أعطت قلبـه خـبرا**
**عـن السمـاء بما يلقى مـن الغير**
**يحسّ وطء الـرزايـا وهي نازلـة**
**فينهب الجـري فعل الحادث المكر**
**من الجيـاد اللواتي كان عوّدهـا**
**بنـو الفصيص لقـاء الطعن في الثغر**

ويلخّص أبو الطيب المتنبي تقديره للخيل بقوله :

**ومـا الخيل الا كالصديق قليلـة**
**وان كثرت في عـين من لا يجرب**

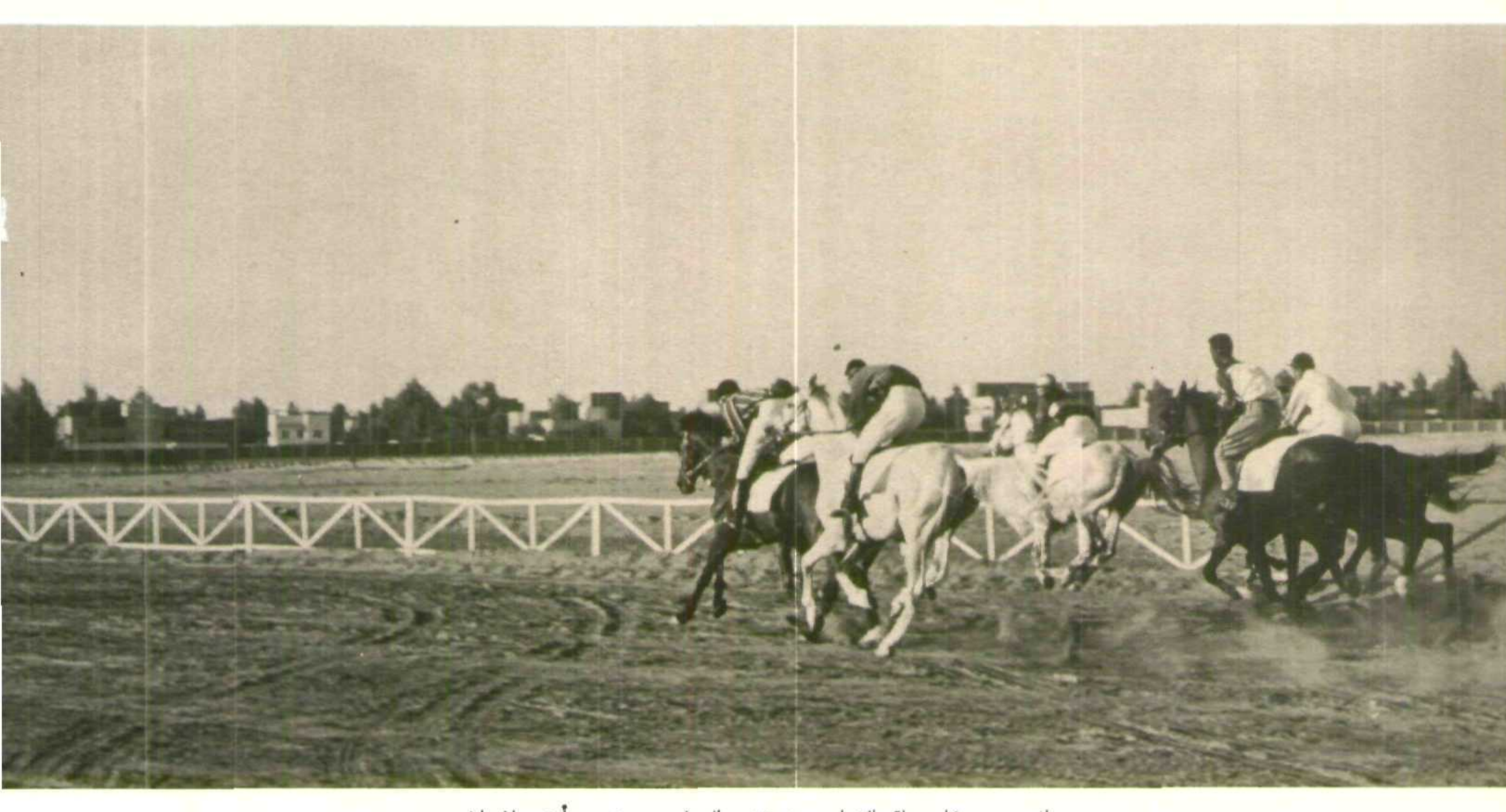
ولم يك تقدير العرب وحبهم لخيولهم وليد مصادفة أو أمرا عفويا ، فهي عدّتهم في الحرب والفتح ، دكّت بسنابكها ورماح فرسانها أركان امبراطوريات الروم والعجم ، وحملتهم عبر الشمال الافريقي الى مياه الأطلسي . وكأنّي بعقبة بن نافع على صهوة جواده يندفع به عبر الأمواج يجلجل صوته بعبارته المشهورة : « يا رب لولا هذا البحر المحيط لمضيت في البلاد الى ملك ذي القرنين مدافعا عن دينك .. الخ » .

وتغنّى العرب بها في وقـائعهم التاريخيـة كداحس والغبراء ، واشتهر منها في الفتح خيول مثل « أطلال » فرس بكير التي اشتهرت في معركة القادسية .

والخيل ذكية باسلة ، وفيّة لأصحابها ، نبيلة بأخلاقها . ويتجلى وفاؤها لفارسها في اصطبارها على الكريهة وعدم مفارقتها لصاحبها اذا سقط جريحا .. تفيئه بظلها ، وتقيه الأذى اذا اضطر للرقاد ، وتوقظه عند أدنى اشارة خطرة أو اقتراب العدو أو الوحوش . وهي كذلك في السلم ، زينة وجزء لا يتجزأ من العائلة ، تلقى من العناية ما يلقى غيرها من البنين .. يبتهج لولادتها ، ويحزن لمماتها . وهي تهدى للعظماء تعبيرا عن الاحترام والاجلال والتقدير ، ويحرص عليها كما يحرص على الكنز الثمين ..

قلما اجتمع لفرس من المميزات وحسن الصفات ونبل المحتد وعراقة النسب ما اجتمع لخيل العرب ، لذا طبّقت شهرتها الآفاق واقتناها كل من طالتها يداه من الشعوب الأخرى . فالأمريكيون يفاخرون بأن حصان « جورج واشنطن » كان عربيا. ويروى أن جواد « نابليون » الذي حمله عائدا من موسكو كان عربيا ، وان فرقـة كاملة من الفرسان في جيش « كرومويل » كانت تمتطي صهوات جياد عربية . وفي أنحاء العالم المختلفة توجد في أيامنا هذه فصائل عديدة من الخيول تنحدر من سلالات عربية أصيلة تشهد بذلك سجلاتها .

وخيول العرب الأصيلة هي خلاصة جهود متصلة في التحسين والانتقاء من أكثر من عشرين سلالة من فصيلة « الكحيلان » الأصيلة التي كانت خيولها تجوب أرجاء جنوبي الجزيرة العربية قبل نحو ثلاثة آلاف عام . وقد ظلت اثنتا عشرة سلالة من « الكحيلان » نقية صافية ، أما الثماني الباقية فقد اختلطت بسلالات غريبة ،



جانب من حفل سباق الخيل حيث تبدو الجياد وهي تنهب أرض الميدان .

كالتركمانية والتركية والفارسية وغيرها . وتبدو في النقوش الأثرية التي تركها قدماء المصريين وعرب الجزيرة رسوم لخيول هذه الفصيلة .

لقد انتقل فنّ ترويض الخيول الى عرب البادية عن طريق المصريين الذين أخذوه عن الحثيين . وقيل أن الحثيين أخذوا هذا الفن عن البدو الذين قطنوا شمالي سوريا حوالي ١٥٠٠ق.م. واشتهروا بمهارتهم في تربية الخيول وصنع العربات التي تمكنوا بواسطتها من اخضاع معظم جيرانهم لسيطرتهم . ويذهب بعض العرب الى القول أن خيولهم من نسل « زاد الراكب » وهو فرس للنبي سليمان ، عليه السلام ، أهداه لقوم من الأزد ، وذاع صيته بين العرب . ومنه نتجت أجود الخيل ، « كالهجيس » عند تغلب ، « الهجيس الدنياري » عند بكر بن وائل ، و « أعوج » عند بني عامر ، و « ذي العقال » ، وكلها خيل مشهورة منسوبة الآباء والأمهات .

أما أشهر أسماء الخيول المتداولة اليوم فهي ، « الكحيلة » ، ودعيت بذلك لأن سواد عينيها يوحي بأنها مكحولة ، وهي أقوى فصائل الخيل ، وأكثرها احتمالا للمشاق ، ويكثر وجودها في معظم أنحاء جزيرة العرب . يليها « الصقلاوية » ، لصقلة في شعرها أو لقلة لحمها ، وهي أجمل خيول العرب ، « فالعبية » ، ويقال انها سميت بذلك لأن رداء فارسها سقط فحملته على ذيلها مسافة بعيدة . ومن فصيلة « العبية » تنحدر أسماء كثيرة . وأخيرا « الحمدانية » ، وذلك نسبة الى بني حمدان ، وهذه الأخيرة تكثر في نجد . بيد أن هنالك أنواعا أخرى عديدة من فصائل الخيل العربية لا يمكن حصرها بحال من الأحوال ، وهي خيول أصيلة متحدرة من سلالات عربية نقية .

## خواصّ الفرس العربي

الفرس العربي صغير الحجم نسبيا ، فعلوّه عن الأرض لا يزيد على ٦٠ بوصة ووزنه يتراوح بين ثمانمائة وألف رطل . وهو يمتاز عن باقي السلالات بتركيبه الجسمي وهيئته الخارجية . فمن الناحية الفسيولوجية لوحظ أن له خمس فقرات قطنية بدلا من ست فقرات . وان فقرات الذيل عنده تقل فقرتين عما هي في باقي السلالات. أما الظهر فقصير أيضا لأن عدد فقراته ثلاث وعشرون فقرة . كما يمتاز الفرس العربي باستطالة زائدة في عظام الحوض وقصر وقوة في القوائم مع كثرة ظاهرة في لحم الفخذين ، واستدارة في الحافر ، وله جمجمة متناسقة ، وعنق كبير يمكنه من احتواء القصبة الهوائية الفائقة الحجم ، كما أن أضلاعه أطول من أضلاع باقي السلالات ، وله قلب ضخم يمتاز بقوة عضلاته . أما أذناه فمتباعدتان منتصبتان ، وهذه امارة من امارات الأصالة . وفي ذلك يقول ابن هانيء :

**وجاءت عتاق الخيل تروى كأنما**
**تخطّ لها أقلام آذانها صحفا**

ومن ميزات الحصان العربي أيضا أنه عريض الوجه عند أعلى الجبهة ، ثم يضيق شيئا فشيئا . أما الأنف فصغير قريب ما بين المنخرين كبيرهما ، وأكثر ما يميز الجواد العربي عن غيره من الجياد الأخرى وقوع عينيه في موضعين متقدمين الى جانبي الرأس ، مما يساعده على انفساح مدى الرؤية أمامه . وفي نظراته تلمح امارات الذكاء الحاد والقوة ، مع الرقة وسهولة الانقياد . أما شعر العرف فطويل غزير ، وهذه صفة من صفات الخيل المحمودة .

وتدل الآثار على أن تربية الخيل عند العرب أقدم من تربية الابل . والمهرة تصبح فرسا في الخامسة ، والفلو يصير حصانا في السادسة . وتمتد فترة الاخصاب عند الخيول العربية الى الخامسة عشرة ، وبعض الخيل تنجب في

الخامسة والعشرين ، وهي تعمر فتبلغ الثلاثين وتتجاوزها في معظم الأحيان . وحين يولد المهر ويفتقد حليب الأم يرضع حليب الناقة ، والناقة تحنو عليه حنوّها على وليدها ، وتمنحه الكثير من عطفها ورعايتها . أما الفلو أو المهر فلا يعطى الكثير من الماء اعتقادا بأن كثرة السقيا تضعف مقدرة الجواد ، وبعد الفطام يوكل أمر العناية به الى النساء أو الأبناء ، مما يجعل الحصان أو المهر ينشأ على الرقة والطاعة والاستجابة لأدنى اشارة أو ايماءة ولمجرد الهمسة أو الهزّة بالمقود أو المهماز ، دون الحاجة الى استعمال اللجام أو الشكيمة « الحكمة » . كما لا يحتاج الفرس العربي الى ترويض طويل أو شاق ، ويصبح ركوبه ممكنا للصغار عندما يبلغ الثانية .

وقد فاقت الخيول العربية ، أو التي تجري في عروقها دماء عربية ، غيرها من أنواع الخيول في ألعاب البولو والسباق وقفز الحواجز والصيد ، وفضّلها فرسان العصور الوسطى في أوروبا على غيرها ، كما يعزى الى تلك الخيول المقدرة الهائلة على جرّ العربات ، كخيول « بير تشيرون » الفرنسية المنشأ .

واهتم العرب بأنثى الخيل أكثر من الحصان ، فهم يفرحون لولادة المهرة ، خصوصا اذا كان الحصان مشهورا بأصالته . وبيع الخيل الأصيلة غالبا ما يتم شراكة .. فشاري الفرس قد لا يملك أول وليد أو ثاني وليد لها ، وربما ظل لمالكها السابق الحق في الثالث أيضا ، فيقال في هذه المناسبة « له أول وثان وثالث » أو « أول وثان » ، وهكذا .

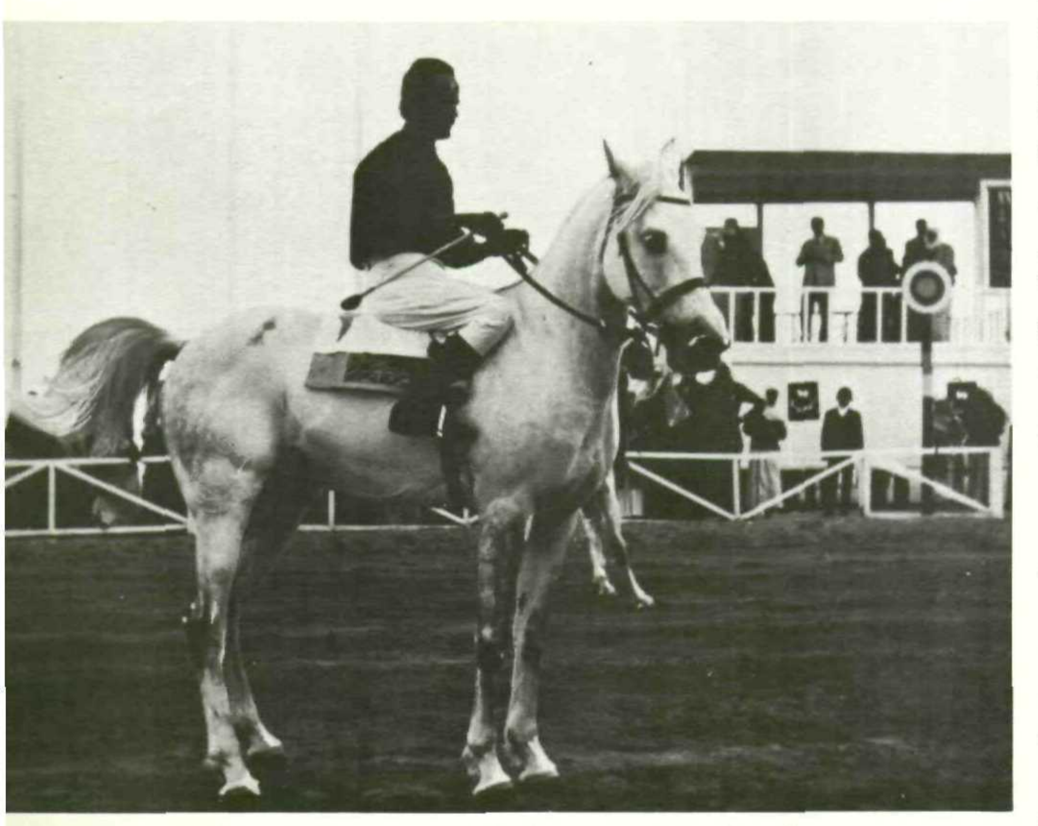
ويتألف سرج الفرس العربي من لبدة من وبر الابل تكسى بالجلد ، وتجعل على هيئة « حنو » مرتفع عند المقدمة والمؤخرة ، وتحت السرج « الحلس » وهو قماش كثيف رحب يقيه الأذى . وافتن العرب في وصف الفرس بالكرم والعتق ، فهو « مطهم » و « أفق » اذا كان رائعا تاما حسن الخلق :

**أرجّل لمتي وأجر ثوبي**
**وتحمل شكّتي أفق كميت**

وهو « هيكل » اذا كان طويلا ضخما ، و « مشذّب » اذا كان كالنخلة الباسقة ، و « صلدم » اذ كانت له قوّة الحجر الصلد . وان كان خفيف الجري سريعه فهو « فيض » و « سكب » ، وسمي به أحد أفراس النبي ، صلى الله عليه وسلم . وهو « بحر » اذا كان لا ينقطع جريه .



الجياد وهي تنطلق من خاناتها عند بدء السباق .



أحد الجياد الفائزة في سباق الخيل الذي جرى في الرياض هذا العام .

والجموح في الفرس مذموم اذا كان يركب رأسه فلا يثنيه شيء ، وممدوح اذا كان الجموح نشيطا سريعا . قال امرؤ القيس :

**جموحا مروحا واحضارها**
**كمعمعة السّعف الموقد**

وفي ترتيب السوابق ، قال الجاحظ : « كانت العرب تعدد السوابق من الخيل ثمانية ، ولا تجعل لما جاوزها حظا . أولها السابق ، ثم المصلّي ، ثم المقفّي ، ثم التالي ، فالعاطف ، وآخرها اللطيم السكّيت » وكانت العرب تلطم الآخر وان كان له حظ » .

وفي ترتيب عدو الفرس قالوا «الخبب» أولا ، ثم «التقريب» ، «فالامجاج» ، ثم « الاحضار » ، « فالارخاء » ، و « الاهذاب » ، ثم «الاهماج» .

## نادي الفروسيّة بالرّياض

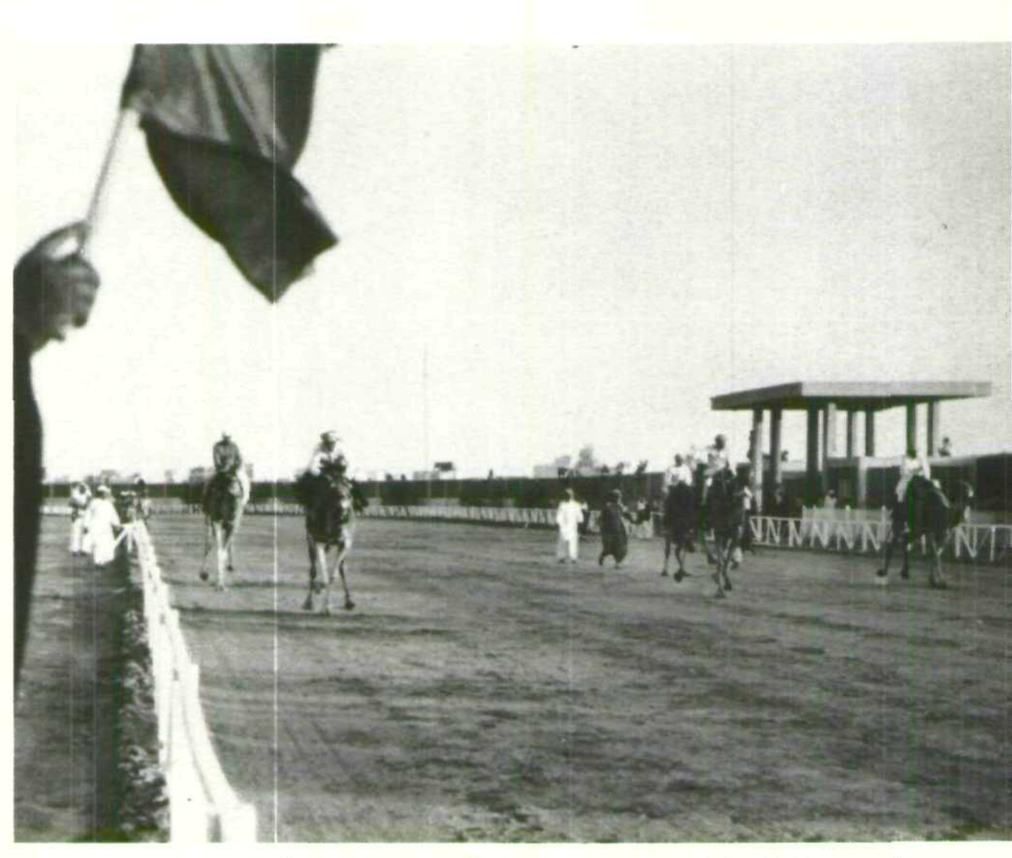
لقد مرّت الخيل العربية بفترة من الاهمال ، وذلك اثر ظهور السيارة ، وتلاشي عادات الغزو والقتال بين القبائل ، فأخذ عددها يتناقص بتناقص عدد المهتمين بها ، في حين أخذ اهتمام الغرب بها يتزايد ، حتى لقد بلغ مجموع الخيول العربية في الولايات المتحدة الأمريكية وحدها قبل عشرين عاما أكثر من عددها في موطنها الأصلي ، جزيرة العرب .

وقد لفت هذا الأمر نظر المغفور له جلالة الملك عبد العزيز ، فأبدى اهتمامه بتجميع اصائل الخيول العربية بعد أن كانت متفرقة ، لا يجمعها مكان ولا تحفظ لانسابها السجلات ، وقامت بعد هذا وزارة الزراعة بانشاء مركزين لتربية الخيول العربية وتنسيلها .

وفي عام ١٣٨٦ صدر قرار وزاري باعتماد تأسيس ناد للفروسية يقع في الملز بالرياض ، لا يشترط في العضو المنتسب اليه أن يكون من أصحاب الخيل أو مالكيها . ويشمل النادي أيضا ملاعب لمختلف أنواع الألعاب الرياضية ، وبرك للسباحة وحدائق عامة ، هي قيد الانشاء . ويرأس الهيئة الادارية للنادي صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن عبد العزيز ، ويساعد الهيئة الادارية لجان متفرعة عنها ، مثل : « لجنة السباق والتحكيم » ، التي تضطلع بتنظيم السباقات ، والحكم في نتائجها ، وتحديد جوائز كل موسم . ولجنة « التشبيه » ، وتضم خبراء



جمع من الجمهور يشهد حفل سباق الخيل الذي أقيم على كأس جلالة الملك فيصل المعظم في ميدان السباق بنادي الفروسية في هذه السنة ويظهر في المنصة السفلى لجنة التحكيم .



جانب من سباق الجمال الذي يقيمه من وقت الى آخر نادي الفروسية في الرياض .

مهمتهم معرفة اصالة الجواد وسلالته ، وتحديد سنّه ومقر ولادته ، وحفظ سجل له بذلك .

هذا وتبلغ قيمة الجائزة التي يقدمها نادي الفروسية للفائزين في كل سباق أربعة آلاف ريال بينما تبلغ قيمة أعلى جائزة يمنحها النادي للفائز ، وهي جائزة كأس جلالة الملك ، عشرين ألف ريال ، يليها جائزة كأس سمو ولي العهد ، وتبلغ قيمتها عشرة آلاف ريال .

أما عدد خيول النادي فيبلغ مائتين وأربعين فرسا عربيا ، موزعة على أربع درجات ، هي : الفرس المبتدئة ، أي التي فازت في سباق واحد ، ثم الثالثة وهي التي فازت في سباقين ، والثانية أي التي فازت في أربعة سباقات ، فالأولى . ولا يقبل الجواد في نادي الفروسية الا بعد التأكد من أنه من سلالة عربية نقية ، ويحمل شهادة منشأ تثبت اصالته ، وشهادة ناد ان كان له سجل يحفظ سباقاته ونشاطاته كي يصنّف في المجموعة الخاصة به .

ويبلغ طول محيط المضمار « مجرى السباق » في نادي الفروسية ألفين وأربعمائة متر ، وعرضه خمسة وعشرين مترا . وأطول سباق يقام فيه هو سباق الـ « ٢٦٠٠م » ، وأقصرها سباق الألف متر . وتطلق الخيول المشتركة في السباق من جهاز خاص يحوي أربع عشرة خانـــة ، لها أبواب تفتح كلها في وقت واحد بواسطة جهاز خاص متحرّك . وهذا الجهاز يمكن سحبه بالسيارة الى المكان المخصص لبدء السباق . ويقام السباق الأسبوعي في مساء يوم الاثنين مـــن كل أسبوع .

ويحوي النادي ثمانية اسطبلات ، وعيادة بيطرية ، ومكاتب للمراقبين ، ومركزا لتدريب الشبان الذين هم دون العشرين من أعمارهم على ركوب الخيل . وفي مدخل النادي يقوم البناء الرئيسي الذي يحوي منصة ضيوف الشرف ، ثم منصة الحكام ، وقاعة النادي ، ومكتب الادارة والمدرج .

هذا ، ويزمع المسؤولون انشاء نواد عديدة للخيول العربية تعيد لرياضة العرب الأولى مكانتها التاريخية المجيدة ■

نسيم صمادي

تصوير : علي محمد خليفة

يزداد الحماس كلما اقترب السباق من خط النهاية .

مسرحية عربية في ثلاثة فصول

# «طارق» الأندلس

## الفصل الثاني

تأليف : الاستاذ محمود تيمور

تقديم :

صاغ المؤلف مسرحية ليصور بها شخصية «طارق بن زياد» فاتح الأندلس . وقد حرص على أن يصدق التاريخ ، فلا يفتري عليه ، ولا يهمل حقائقه . بيد أنه لم ينقل التاريخ بحروفه ، ولكنه اتخذ من الخيال أداة للكشف عن الحقائق ، والتعبير عن الخصال ، والتحليل للأحداث وما وراء هامن مفاهيم .. وذلك في إطار مسرحي تتوافر له مقتضيات التمثيلية ومكوناته الفنية . ولهذا الفصل الثاني ، فاتحة تمثل دخول «طارق» الأندلس ثم يصور المشهد «طارقاً» بعد التوغل في الفتح ودخول «طليطلة» . وفي هذا المشهد تبدو شخصية «الكونت يوليان» الحاكم القوطي الذي حرض «طارقاً» على غزو الأندلس انتقاماً من مليكها «لذريق» ، كما تبدو شخصية «الكونت جوميز» أحد نبلاء القوط وفرسانهم .

(الستارة مسدلة ، والأضواء الخضراء تشيع عليها) .

**أصوات تهليل :** لا اله الا الله . الله أكبر . العزة لله .

صوت « طارق » يجلجل من بعيد ببعض فقرات من خطبته) .

**صوت «طارق» :** أيها الناس ، أين المفر ؟ البحر من ورائكم ، والعدو أمامكم ، اعلموا أنكم في هذه الجزيرة أضيع من الأيتام في مأدبة اللئام .. لا أقوات لكم الا ما تستخلصون من أيدي عدوكم . أعلموا أنكم ان صبرتم على الأشق قليلا ، استمتعتم بالأرفه الألذ طويلا .

(قرع طبول . وقع سنابك الخيل . صليل سيوف . تبرق أضواء حمراء وصفراء ملائمة لقعقعة السلاح . تهاليل وأصوات انتصار) .

**أصوات** (من خارج) : **النصر من عند الله . النصر من عند الله .**

(تخفت الأصوات رويدا ، ثم يعقب ذلك سكون يعود صوت « طارق » مجلجلا) .

**صوت «طارق» :** أماما أيها الأبطال . أماما أيها الرجال . لقد حمى الوطيس ، وحان أن تقطفوا ثمرة الجهاد . لقد انتخبكم « الوليد بن عبد الملك » أمير المؤمنين من الكماة الصناديد ، لتكونوا لأمراء هذه الجزيرة أصهارا وأختانا ، ثقة منه بارتياحكم للطعان ، واستماحكم لمجالدة الأبطال والفرسان . الى الأمام . الى الأمام .

(أصوات أبواق ، وقرع طبول ، وصهيل خيل ، ووقع سنابك الجياد ، ممزوجة بصليل السيوف وتهاليل الانتصار .

(هتاف بحياة الاسلام) .

**أصوات (من خارج) :** حي على الجهاد . حي على القتال . الله أكبر ، ولله الحمد .

(تخفت الأصوات قليلا قليلا ، ثم يعم السكون ، ويسود الظلام .

ترتفع الستارة تدريجيا ، ويستنير المكان رويدا . الوقت أصيل .

بهو في قصر الأمارة في « طليطلة » يحوي بعض متكات ومقاعد وثيرة هنا وهناك . تسمع في الخارج أصوات فرح وابتهاج . « ابن سيار » من حاشية «طارق» وسط البهو ، ولا يلبث أن يقصد الى النافذة الكبيرة يفتح مصراعيها ، ويصغي الى الأصوات لحظات .

خطوات قادم .

يتلفت « ابن سيار » فتأخذ عينه شخصا مقبلا) .

**ابن سيار :** ها أنت ذا يا « مغيث » ..

(يبدو « مغيث الرومي » أحد قواد « موسى بن نصير »)

**مغيث :** سلاما يا « ابن سيار » .

**ابن سيار :** « طليطلة » ترحب بمقدمك يا « مغيث » .

**مغيث :** كما ترحب بنزولك فيها مع جيش قائدنا « طارق » .

**ابن سيار :** أ أبلغته رسالة الأمير « موسى » اليه أن يوقف الزحف ؟

**مغيث :** لم يمكني من ذلك ! . لقد اندفع يسألني في شغف عن « قرطبة » التي بعث بي اليها فاتحا . فما كدت أتحدث اليه في شأنها حتى خفت الينا الوفود من كل صوب تطلب النصفة والعدل .

**ابن سيار :** منذ دخل « طارق » « طليطلة » فاتحا ، وهو في شغل شاغل بأمر تنظيمها . وانه ليلقى حفاوة وتأييدا من الجموع الزاخرة ، جموع المستضعفين والأرقاء من ضحايا « القوط » .

**مغيث :** أحسبه لا يمكث في « طليطلة » طويلا ، كما فعل في سائر البلاد التي فتحها . انه سيتابع الزحف بلا شك .

**ابن سيار :** هكذا يقولون .. هكذا يرددون ، والله أعلم ! .

**مغيث :** انه عصيان صريح لأمر الأمير « موسى » .. طلب اليه غير مرة أن يوقف الزحف بعد أن حلت الهزيمة الكبرى بجيش « القوط » .

**ابن سيار :** عصيان أو غير عصيان . شيء أكبر من أن ندركه يتملك « طارق » .. انه كالمحموم .. شيء خفي يسوقه دائما ، ويدفعه الى التقدم .

(يقدم على حين بغتة « المقنع العشري » رئيس أحراس « طارق ») .

**المقنع :** يفعل ذلك في سبيل الله .

(« مغيث » وابن سيار » يلتفتان اليه) .

**مغيث :** (للمقنع) وعصيان الأمير .. أفي سبيل الله ؟ الله يقول : «وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم» .

المقنع : (منتفشا في عدته الحربية) :
صمتا ، الله عظيم .
(« طارق » يقدم مهيب الطلعة) .
طارق : لقد قلتها مرارا ، وأعلنتها جهارا .. اتركوا لأصحاب العبادات حرية أداء الشعائر التي يدينون بها ، واتركوا للناس جميعا حرية السعي كي يكفلوا أرزاقهم .. أما الأرقاء فمن أسلم منهم فهو حر . اسمع يا « ابن سيار » ..
ابن سيار : لبيك مولاي ..
طارق : ابعث الرسل بكلمتي هذه الى الملا في كل أرجاء المدينة .
ابن سيار : لأمر مولاي القائد الطاعة .
(ينصرف « ابن سيار » والحاضرون ، فلا يبقى مع « طارق » الا « مغيث الرومي ») .
طارق : والآن .. ما عندك يا « مغيث » ؟
مغيث : ثمة رسالة طلب الأمير « موسى » مني أن أبلغك اياها مشافهة ..
طارق : ماذا يريد الأمير « موسى » ؟
مغيث : يطلب منك وقف القتال .
طارق : لا يكف الأمير « موسى » عن طلبه هذا !
(يعلو بصدره ، ويسمو بهامته .)
ولكن صوتا آخر يناديني أقوى من صوت الأمير ، فالى أي صوت أستجيب ؟
مغيث : صوت من ؟
طارق : وهل أدري لمن الصوت ؟ انه يأتيني من أعماق نفسي البعيدة .. وما أن يصك سمعي حتى أحس كأن حريقا يشب في صدري ، لا الأمير « موسى » ولا غير الأمير « موسى » يستطيع أن يطفىء هذا الحريق .
مغيث : كل ما يطلبه الأمير منك أن تنتظر مقدمه .. انه في الطريق اليك .
طارق : (وهو شاخص ببصره) : النسر منطلق في الفضاء ، يرتاد الأفق البعيد ، لن يستطيع كائن كان أن يحجزه عن تحقيق مرامه .
مغيث : وما مرامه بعد انتصاره ؟ بعد أن أصاب ما أصاب ؟
طارق : (في ضحكة استعلاء) : مرامه أن يواصل التحليق في أجواز الفضاء .. أن يطير .. أن يطير .
مغيث : الأفق فسيح ... واننا لنخشى على النسر أن يتطرق اليه الوهن .
طارق : في كل مرحلة يقطعها النسر ، ينبت له ريش جديد . (صائحا) : سيطير النسر ، ولن يقفه عن الطيران كائن كان !
(« مغيث » وقد أطرق هنيهة مفكرا ، يسمو برأسه) .
مغيث : أصبت أيها القائد .. ان النسر يطير ، لا يصده عن سبيله شيء . انه انتفاضة الاسلام .. انه وثبة المسلمين العارمة يكتسحون فيها الأصقاع لينشروا النور الجديد .. النسر أنت والنسر هو الجيش الذي يساندك ، لا مفاصلة بينكما ولا انفصام .
(أصوات من خارج الممر . يقدم « ابن سيار ») .
ابن سيار : وفود من القوم ترغب في لقاء القائد.
طارق : فليقدموا
(تدخل فئة من أهل « طليطلة » ، بينهم شيوخ مسنون . يتقدمون الى « طارق » فرحين متهللين . بعضهم ممسك بحاشية ثوبه يقبلها ، وبعضهم يتجاذب يديه رغبة في لثمها ، ومنهم من يهبط عند قدميه) .
انهضوا . انهضوا . أستغفر الله . ارفعوا رؤوسكم لا تحنوها لغير الله .
(تتقدم اليه عجوز هرمة) .
العجوز : جئنا نحن أقنان الأرض نعلن فرحتنا بك . انك أينما حللت أشعت الخير .



رجل من القوم : وجب علينا نحن المستضعفين في الأرض أن نثني على فضلك العظيم ، اذ رددت الينا حريتنا وسويت بيننا وبين سائر الناس في الحق والواجب .

طارق : لا رق ولا عبودية بين الناس .. أمهاتكم ولدتكم أحرارا ، وقد أمرنا الله أن نعلي كلمة الحق والعدل بين الناس أجمعين ، وانا لفاعلون .

رجل من القوم : لك النصر يا سيد العرب ..

طارق : لست سيد عرب ولا عجم . انما أنا أمرؤ يدين بقول الرسول عليه السلام : « كلكم لآدم ، وآدم من تراب » .

شيخ من القوم : قل ما شئت ، ولكن فضلك لا ينكر («طارق» يتضاحك) .

وانك لحميد الذكر في الحياة ، وستكون حميد الذكر في التاريخ .

طارق : حسبك يا صاحبي ، فما أخشى على نفسي شيئا خشيتي من التاريخ .. ماذا في التاريخ من حقائق ؟

الشيخ : التاريخ كله حقائق .

طارق : غلوت وأيم الله .. التاريخ أقاويل ، يتناقلها جيل بعد جيل ، نصفها كاذب مختلق ، ونصفها صادق صحيح . ويمر الزمان ، واذا النصف الصادق الصحيح يعتريه التغيير والتبديل ، حتى يلحق بالنصف الكاذب المختلق !

ابن سيار : وهكذا يتبين لنا أن العلم عند الله .. والله أعلم !

طارق : هذا ما تردده دائما يا « ابن سيار » ، وأنت على حق .

(« ابن سيار » يبتهج) .

ولكنك تردده ترديد الببغاء ..

انصرفوا أيها القوم الى أعمالكم . انطلقوا واسعوا في مناكب الأرض ، واكسبوا أرزاقكم حلالا ، والله في عون من يسعى ويكد .

(الجمع ينصرف في تهلل وهتاف .

لا يبقى في البهو غير « طارق » و « ابن سيار » و « مغيث » وبعض رؤساء الأجناد .)

أما أنتم يا أمراء العسكر فكونوا دائما على أهبة العمل ، في أية ساعة من ليل أو نهار .

طاب مساؤكم .

(رؤساء الأجناد يحيون وينصرفون .)

(يسمع صوت في الخارج) .

الصوت (في الخارج) : لا بد من لقاء « طارق » .. لا بد أن ألقاه . دعني أيها الوغد .

يوليان : (في الخارج) : ألزم أدبك ، والا قطعت لسانك .

(تسمع حركات مشاجرة) .

طارق : (لابن سيار) : انظر ما هذا ؟

(ينصرف « ابن سيار » ولا يلبث أن يعود) .

ابن سيار : « يوليان » في مشاجرة هو و«الكونت جوميز» . ان « الكونت» راغب في لقائك ، ولكن « يوليان » يأبى ذلك عليه .

طارق : فليتركه . ليدخل « جوميز »

(« ابن سيار » يمضي لاحضاره .)

مغيث : أفي مثل هذه الساعة تلقى ذلك الصنف من الناس ؟

طارق : لن أمتنع عن لقاء أحد في أي وقت !

(يقدم « الكونت جوميز » و « الكونت يوليان » و « ابن سيار » .)

الكونت جوميز : سلام على القائد « طارق » .

طارق : وعليك السلام أيها الكونت « جوميز » .. ماذا تطلب ؟

الكونت جوميز : أسألك لماذا صادرت أملاكي ؟

طارق : من الغفلة أن نقضي على الملك ، ونترك عونا من أعوانه ذا سطوة واقتدار يدبر لنا المكايد في اقطاعياته ، ويحاول أن يجمع فلول القوم ليباغتنا بها .

الكونت جوميز : ألديكم ما يثبت أني أضمر لكم كيدا ؟

طارق : لا ندع لك الفرصة لتفعل ..

الكونت جوميز : أنت تخشاني .

طارق : اني أحذرك .

الكونت جوميز : ولم لا تقبض علي ؟

طارق : اكتفيت بتقليم أظفارك .

الكونت جوميز : ان أظفاري سريعة النمو ، كالنصال الحادة .

طارق : سأستأصلها من جذورها اذا اقتضى الأمر . والآن أيها « الكونت جوميز » هل عندك ما تقوله بعد ؟

الكونت جوميز : نعم !

طارق : أوجز .

الكونت جوميز : ان الشريف « القوطي » (يضرب صدره بيده) :

يجد نفسه ضائعا مهينا منهوبا ، لا يكاد يصيب قوت يومه في بلد ارتفعت فيه الهتافات بالحق والعدل والمرحمة .

طارق : لكل مجد يعمل باخلاص في هذا البلد نصيب غير منقوص من الحق والعدل والمرحمة ، أعمل أيها « الكونت » ، واكسب قوتك بعرق جبينك ، فالعمل شرف وكرامة .

الكونت جوميز : ماذا تريد يا سيدي ؟ أتريد أن يعمل « الكونت جوميز » قرين الملك لكي يقتات ؟ . لم يعلمني أهلي حرفة ، فماذا تظنني أعمل ؟

طارق : ليس هذا ذنبنا .

الكونت جوميز : عفوا .. تذكرت أني أجيد حرفة .. بيد أنكم كففتمونا عن ممارستها .

طارق : أية حرفة تعني ؟

الكونت جوميز : حرفة السيف ، حرفة الحرب .. حرفتك أنت .

طارق : ومن يمنعك أن تكون محاربا ؟

الكونت جوميز : جيشنا بقيادة « بيلاجيوس » لاذ بالشمال ، ولا سبيل الى اللحاق به .

طارق : أعينك على أن تدركه . كامل العدة ، لا يمسك أحد بسوء ، حتى تبلغ معه مأمنك .

الكونت جوميز : (دهشا) : أتقول حقا ؟

طارق : لم أتعود هزلا في مواقف الجد .

الكونت جوميز : أتاركي أنت ألتحق بجيش « بيلاجيوس » لأحاربك ؟

طارق : اذا راق ذلك لك .

الكونت جوميز : قبلت . واني لأعدها منة منك تقابل بأعظم الحمد وأطيب الثناء .

طارق : (لابن سيار) : اكتب له عهد الأمان ، حتى يجوز الحدود ، وجهزه بعدة وعتاد .

يوليان : (هامسا في أذن « طارق ») : أتشجعه على الهرب ليقاومك .. انه قوي الشكيمة ، شديد البأس .

طارق : حبذا المقاومة يا « يوليان » .. لم يعد للحرب من طعم . اننا لا نحارب ، بل نسوق الفلول أمامنا سوقا .

الكونت جوميز : وأين تريدني أن ألقاك ؟

طارق : اختر ما يناسبك من زمان ومكان . اني واثق أني ملاقيك يوما .

الكونت جوميز : وهذا شعوري أنا أيضا .. الى اللقاء أيها القائد .

طارق : الى اللقاء أيها « الكونت جوميز » .

(ينصرف « الكونت جوميز » محوطا بابن سيار و « المقنع ») .

يوليان : بل الى النار المحرقة أيتها الأفعى .

طارق : شد ما تكره هذا الرجل .

يوليان : انه طاغية تجسدت فيه كل مساوئ عهد « لذريق » .

طارق : أحس أنه مقاتل جسور ، واني أقدر المقاتل الجسور .

يوليان : على أية حال أصبت في ترحيله .. نأمن كيده . أراغب أنت الى في شيء ؟

طارق : شكرا أيها « الكونت يوليان » ، وسعد مساؤك .

(« يوليان » و « مغيث الرومي » ينصرفان . « طارق » يسترخي على متكأ .) ■

# أخبار الكتب

* الكتب التي سبق للدكتور طه حسين نشرها معالجا فيها تاريخ الأدب تصدر في ثلاثة أجزاء كبيرة ، يضم الجزء الأول منها « تاريخ الأدب العربي في العصرين الجاهلي والاسلامي » ، ويضم الجزء الثاني « العصر العباسي » ، والثالث « الأدب الحديث » . وقد ظهر المجلد الأول من هذه المجموعة .

* أحدث المعاجم اللغوية التي صدرت معجم « المنهل » فرنسي/عربي وهو من تصنيف الدكتورين جبور عبد النور وسهيل ادريس . كما صدر في الكويت الجزء السادس من معجم « تاج العروس » .

* أصدر العلامة المؤرخ الدكتور عبد الرحمن زكي كتابين جديدين هما « موسوعة مدينة القاهرة في ألف عام » ، و « تراث القاهرة العلمي والفني في العصر الاسلامي » .

* أصدر الأستاذ عدنان بن ذريل دراسة مقارنة عنوانها « في الشعر المسرحي » تناول فيها تحليل المسرحيات الشعرية لأحمد شوقي وعزيز أباظة وعدنان مردم بك . وقدم لهذا الكتاب الدكتور أحمد سليمان الأحمد .

* وفي الأدب المسرحي ظهرت الأعمال التالية : « ست مسرحيات من الغرب » ترجمة الأستاذ فتوح نشاطي ، و « ضجة النهار » وهي مسرحية للأستاذ عبد المجيد لطفي ، و « مسرحية تشيترا » لطاغور ، وقد ترجمها الأستاذ خليل جرجس خليل وقدم لها الدكتور ثروت عكاشة ، وألحقت بهذه المسرحية طائفة من الأقاصيص الهندية .

* وصدرت في الأدب الروائي الكتب الآتية : « أردنا الحياة » وهي أقاصيص للأديبة التونسية ناجية ثامر ، و « المنبـع » وهي أقاصيص للأستاذ علي كامل ، و « البيضاء » وهي رواية للدكتور يوسف ادريس .

* من كتب التراث صدر كتاب « رسائل في النحو واللغة » ، ويشتمل على ثلاث رسائل هي : « تمام الفصيح » لابن فارس ، و « الحدود في النحو » و «منازل الحروف» وكلتاهما للرماني . وقد حقق هذه الرسائل وشرحها الدكتور الراحل مصطفى جواد والأستاذ يوسف يعقوب مسكوني . كما صدر « تاريخ الموصل » لأبي القاسم الاودي ، من تحقيق الدكتور علي حبيب ، و « الحلل السندسية في الأخبار التونسية» لمحمد بن محمد الأندلسي الوزير السراج ، وقد حقق الأستاذ محمد الحبيب الهيلة القسم الثاني من جزئه الأول . كذلك صدرت الطبعة الثانية لكتاب « الديارات » لابن الحسن علي بن محمد المعروف بالشابشتي وقد حققه العلامة الأستاذ كوركيس عواد ، و « العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين » للامام أبي الطيب التقي الفاسي ، وقد حقق أجزاءه الستة الأولى المرحوم الأستاذ فؤاد السيد ، وحقق جزئيه السابع والثامن الأستاذ محمود محمد الطناحي . وصدر أيضا كتاب « البلدان » للجاحظ تحقيق الدكتور صالح أحمد العلي .

* من كتب البلدان صدرت طائفة جديدة ، منها : « الخليج العربي » للسر أرنولد ولسن ترجمة الدكتور عبد القادر يوسف ، و « الحدود الشرقية للجزيرة العربية » تأليف ج . ب . كيلي وترجمة الأستاذ محمد أمين عبد الله ، و « فتح العرب للصين ومعركة طلس أو الطلخ لغزو بلاد الصين » للمستشرق الدكتـور دنلوب وترجمة وتعليق الأستاذ يوسف يعقوب مسكوني ، و « العالم العربي » للأستاذ عادل يوسف ، و « هذه ليبيا » للأستاذ سامي حكيم ، و « مدينة دمشق » للأستاذ عبد القادر الريماوي .

* دراسات أدبية جديدة صدرت ، منها : « من تاريخ النحو » للأستاذ سعيد الأفغاني و « صيد القلم : شذرات ونوادر » للأستاذ حمد ابراهيم الحقيل ، و « التكسب بالشعر » للدكتور جلال الخياط ، و « تبقى الكلمة » للأستاذ صلاح عبد الصبور ، و « أصوات غاضبة في الأدب والنقد » للأستاذ رجاء النقاش ، و « جبران خليل جبران — مختارات ودراسات » بالعربية والانكليزية للأستاذ سهيل بديع بشروئي . ويصدر للأديبة الدكتورة نعمات أحمد فؤاد كتاب كبير عن « الفن » ماهيته وأصوله ومذاهبه وتاريخه وآثاره ومستقبله .

* في الشعر ظهرت الدواوين الجديدة التالية : « كلمات مهاجرة » للدكتور كمال نشأت ، و « في ضمير الزمن » للدكتور يوسف عز الدين ، و « أطياف ومرايا » للدكتور عفيفي محمود ، و «الكتابة على الطين» للأستاذ عبد الوهاب البياتي .

* كتابان جديدان في الصحافة وفنونها صدرا أخيرا ، هما : « ربع قرن في مهنة المتاعب » للأستاذ أديب مروة ، و « العلاقات العامة » لشوميلي وهويسمان ترجمة الأستاذ فريد أنطونيوس .

* الأديب الكبير الأستاذ توفيق الحكيم ظهرت له مجموعة من خواطره في كتاب عنوانه « قلت ذات يوم » كما صدرت يوميات الأستاذ أنيس منصور في كتاب عنوانه « يوم بيوم » .

* « علم النفس القضائي » كتاب جديد في موضوعه ألفه الدكتور فؤاد الصغير .

* وضع الأستاذان مصطفى عبيد والسيد أحمد الجنزوري كتـابا عن « أساليب رفـع الكفاية الانتاجية » .

* الشاعر الحجازي الكبير الأستاذ طاهر زمخشري صدرت له محاضرة منشورة في الشعر الحديث عنوانها « العين بحر » .

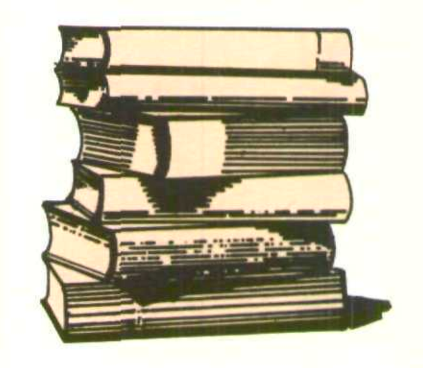
* صدرت طبعة جديدة من كتاب « حياتي » وهو سيرة ذاتية للأديب الراحل الدكتور أحمد أمين ، وقد صدرت بمقدمة للدكتور عبد العزيز عتيق .

* أخرج الأديب المغربي الأستاذ محمد الفاسي كتابا جامعا باللغتين العربية والفرنسية عنوانـه « متنوعات » ، وذلك بمناسبة مرور عشر سنوات على انشاء جامعة محمد الخامس في المغرب ■

## كتب مهداة

**حظيت مكتبة القافلة مؤخرا بهذا المؤلف القيم**

* « أبو عمرو الداني الأندلسي ورسالته في *الظاءات القرآنية* » للدكتور محسن جمال الدين .. وهو من المخطوطات الأندلسية في مكة المكرمة ، ومستل من مجلة « البلاغ » في سنتها الثالثة ١٩٧٠ ■






**تأليف الاستاذ أمين نخلة**

**دراسة الرئيس الدكتور فؤاد افرام البستاني**

عرفنا الأستاذ أمين نخلة سيّد الكلمة ، ودهقان التعبير ، وأركون البلاغة . يقتطع اللفظة من معادنها المعجمية ، فلا يألوها نحتا ، وصقلا ، ونقشا ، وتطريقا ، حتى يفرغها في قالبها الخاص من سبيكة الأسلوب العربي الأصيل ، معجبا اعجاب الحاذق الصناع بتحفته ، مطمئنا اطمئنان الفنان الثقيف الى رائعته ، مغتبطا اغتباط المضياف الجواد هشاشة وبشاشة ، اذ يدعوك الى مأدبته السخية باللذائذ والأطايب ، فيشهدك تسلسل الغنّات ودحرجة النبرات على لهاة القارىء المرتل ، وتحدر الصوت وارتفاعه ، وبسطه وقبضه ، وانسيابه وتلاعبه في تلك الحنجرة المصطفاة جعبة لاسرار الطرب ، حتى لتحار في أيهما أقرب الى تسبيح الله بابراز مجالي عظمته وفضائل هباته ، أتلك التلاوة الرفيعة أم هذا الوصف الرائع ؟

وتنقلب من كل ذلك بمباهج اللوحات اللطيفة والمنمنمات الفائقة ، تتماوج فيها نواعم النّغم ودقائق اللون ، في تناسب القسمات ، وانسجام الأجزاء في الكل الموحد . جنان « شيراز » ، ونقائش « أصفهان » ، وسجاد « نايين » . فلا غرو أن يخيّل اليك ، وأنت ذاهل بالنشوة الراهنة عن كر الزمان واختلاف المكان ، ان جهاد جهابذة النحو واللغة في البصرة والكوفة وبغداد ، وبرعمة نظراتهم ، وازدهار آرائهم وأقوالهم ، ما كان الا معقودا على هذا الثمر ، يجنيه « أمين » على أهون سبيل ، ويؤتيه سائر أبناء الضاد .

ولعل الرغبة في استدامة المتعة ، واستكمال الغبطـة ، تدفعك الى التوّق الناهم والتمني الحريص ، فتصبح : « له الله ! ما ضره لو مد من أبعاد هذه اللوحات ، وفسح في أطر هذه المنمنمات » . ولا تكرر القول الا وأنت في « ذات العماد » جنة اللؤلؤ والمرجان ، والزبرجد ، واليواقيت ، يتيه بصرك في فسيح أرجائها ، ويقصر منك الخيال عن ارتياد آفاقها الشاسعات . واذا بك في ما وراء ما كنت تصبو اليه .

**فتسبق (آمالك) في الطريق**
**وتجني الأشعة قبل الشروق**

وتقف هيّابا في مدخل تلك الجنة مخافة أن تزلق في الصقال ، واللمعان ، وتدفّق الرونق حتى يأخذ بيدك حافظ الباب ، فيميل بك نحو « حارة اللبنانيين » من علماء اللغة والأدب . فتأنس بمشهد البعض منهم ، وتنعم بحوار البعض الآخر ، وتعود بأخبارهم جميعا ، وقد أثرت مسائل في الأدب ، ودقائق في اللغة ، وفي «الآثار» .

ولا يظن السامع أن صاحب الكتاب عمد الى اعطائنا نسخة من « رسالة الغفران » أو من « رسالة التوابع والزوابع » أو من أية رحلة من الرحلات العالمية الكثيرة الى ما وراء الخيال . لا ، فالكتاب ليس من وصف الجنان في شيء ، ولا من تحقيق شهوات الناعمين المخلّدين . انما هو أثر خيال عبقري كان يقرأ وصف « ارم ذات العماد » في الجزء الأول من « معجم البلدان » لياقوت الحموي ، فارتفع به التصور حتى تجسمت لـديه الأوصاف ، وتشخصت الكلمات ، فبرزت المدينة من كهف الأسرار ، وتمثّلت له محسوسة واضحة . فكان من الطبيعي ، وهو الأديب اللغوي ، أن يسأل فيها عن شيوخه الراحلين ، وأن يكون البحث عما حملوا من هموم علومهم في العالم الفاني . فلا غرو أن يمر اذا بالشيخ عبد الله البستاني ، ثم بالمطران جرمانوس فرحات ، فبالشيخ محمد رشيد رضا ، والشيخ ابراهيم الحوراني ، وداود عمون ، والاب انستاس الكرملي ، والشيخ سعيد الشرتوني ، والاب لويس معلوف ، والشيخ ناصيف اليازجي وابنه الشيخ ابراهيم ، والشيخ أحمد فارس الشدياق ، وبمن كان له معهم شأن من سائر أدباء العربية .

ولنضف الى مقومات الكتاب نكتة دقيقة عبّر عنها حافظ الباب بقوله : « كل ناعم ، في ذات العماد ، قد أعلم على داره بشيء مما حصل له في حياته الفانية » . وقد يكون هذا الحاصل سهوا عن بعض التنبيه ، أو خطأ في بعض التعريف ، أو خلقا ، أو حالا من الأحوال ، عرف به الرجل في الحياة الفانية فجعل له علامة في الخالدة .

وعلى هذا ، فقد بني قصر الشيخ عبد الله البستاني على تصميم الألف واللام ، أداة التعريف ، لأنه أهمل التنبيه على سهو البحتري بادخاله أداة التعريف على جبل سنير في قوله :

**وتعمّدت أن تظلّ ركابي**
**بين لبنان ، طلّعا ، والسّنير**

وبني قصر الشيخ سعيد الشرتوني على صورة القطار ، أي غرفا يلي بعضها بعضا على نسق واحد. لأنه ، لما وضع لفظة جديدة للدلالة على آلة النقل التي تجر سلسلة من الشاحنات ، قال : « القطار الحديدي » ، ومعنى هذا التعبير : أن القطار فيه شيء من الحديد . وكان على الشيخ أن يقول « القطار الحديد » ، كما تقول العرب في هذا النوع من النسبة .

ولا يخفى أن الاب أنستاس البغدادي ، من رهبان الكرمل الحفاة ، اللبناني الأصل ، كان يتنكر للبنان في الحياة الدنيا . فلما نقل الى ذات العماد ، أعلم له باللون الأخضر ، لون الأرز « فلبن بيته وحصباؤه ، وترابه ، الى سقائفه وأبوابه ، والماعون الذي فيه ، والستور ، والسرر ، والزرابي ، والوسائد ، كل أولئك من لون أخضر » .. الى أكسيته جميعا الا الجوارب والنعال ، فقد فرض على ذاك الراهب الحفاء . حتى صح فيه قول خازن الباب : « فانظر ، وهو الذي كان يفر من النسبة الى بلاد الجبل ، كيف علق به لون أرزكم ، فما ينسخ عنه ! » .

ويعجب اللبناني الزائر لراهب آخر « قد خرج في جورب من الصوف وهو يكد د سربا من الظباء ، ولا تقف له » ويستغرب أن يكون هناك « ذات العماد ، وظباء ، وجوارب من صوف » . فيقول رفيقه باسما : « علامة لصاحب « المنجد » ! فانه قال في كتابه ، في التعريف « بالمسماة » ما هذا لفظه : « الجورب من الصوف يلبسه الصائد ، ويخرج الى الظباء نصف النهار ، فتخرج من أكنستها ، ولا يزال يكد دها حتى تقف فيأخذها .. »

ثم يلقى الشيخ ناصيف اليازجي ، وقد تقمّص شابا غندورا في جبة زرقاء ، على حد ما وصف في أحد مطالعه الزجلية الشهيرة في عالم القرن التاسع عشر .

وبينما هو يتدرج ناعما آنسا ، في مباهج « ذات العماد » ، اذا بزئير مفاجىء ، فيطيش لبّه ، ويفر مذعورا . فيهدئ رفيقه من اضطرابه ، ويسكن روعه بأن الأسد المذكور لا يؤذي ولا يخيف ، فهو لا ناب له ولا ظفر . انما هو تجسيم للأسد الخيّالي ، الذي وصفه تامر الملاط متوهما أنه « التقاه في ضاحيته بين البساتين والجسر ، وغالبه » .

هذا ، ويتساقط في أثناء هذه الرحلة العجاب شذور أحاديث ، وشتى آراء في الشعر والأدب والفن ، هي في الذروة من دقة الملاحظة ، وصواب النقد ، واقرار الأصول ، والدعوة بالعودة الى واقع الطبيعتين : طبيعة الكون ، وطبيعة الانسان محور الكون وسيّده . فتلتقط من ذلك :

« الشعر ، على الجملة ، هو أغاني المرء بذهوله ، وتحيّر قلبه ، وترد د خواطره بين يدي هذا الكون العظيم !

« ان الواحد من شعراء أهل الدنيا لا يعرف اضطراب خواطره الا حين يقابلها بانسجام الماء في الغصن ، أو بانسجام التغريد فوق الغصن .

« في موضوع الأدب يجب أن يتناول كل شيء حتى قلق البحر ، ومتاعب الزواج ، وسقوط الثلج في شهر كانون الثاني .. »

« أصعب ما في الفن شعورك أنك تسكن فانيا ، وتخلق باقيا ! »

« أصبح أهل الدنيا ، من زمانهم ، بين ورقة الجريدة ، وعلبة الراديو ، تحت سلطان الاخباريين من الكتّاب ! لا يستطيع واحدهم ، مهما بلغت به الرزانة ، ورجاحة العقل ، أن يتفلّت من تأثير الكاتب الاخباري عليه . ومن هنا ستقوم قضية اسمها « قضية العلوم والمعلومات » . وكم يكون عجيبا أن يحيط الرجل بكل أزمة تقع في السياسة ، أو حرب تشتعل ، أو زلزال تقوم قيامته ، ثم ترى صاحبك ، وهو لا يستطيع أن يقف على شيء من مسائل نفسه ! »

بيد أن الرحلة ، وان الى ذات العماد ، تطول على الداريّة المتبلّد ، فيحن الى موطنه من الجبل ، ويلح عليه العطش والجوع ، فيقبل على جدول ماء يظنه « رويّا سريع الجرية فاذا هو قناة من دقاق اللؤلؤ ، ويهم بقطف فاكهة ، متمشيا في أعطاف المرج الأخضر ، فيجد أن ذلك كله جواهر وذهب وفضة ، لا عشب ولا ورق ، ولا حمل شجرة . فيشعر بالوحشة وضيق الصدر ، فيثوب من تلك الغيبوبة .. واذا به في آخر قراءته ، تجاه آخر الكلام من مادة « ارم » من الجزء الأول من « معجم البلدان » لياقوت الحموي .

وبعد ، فلك أن تسأل في آخر الرحلة ، وما المنفعة من هذا الأثر الخيالي ، على ما كلّف من جهد ؟ وما قيمته في يومنا هذا ؟

يروى أن أحد السياح ، من أقطاب الاستثمار وأساطين الاقتصاد ، وقف في « رومة » يوما تجاه أحد القصور الرائعة ، وقد هاله ما أنفق فيه ، فصاح بالدليل : وما المنفعة من هذا الصرح على ما كلف من بذل واسراف ؟ وما قيمته في يومنا هذا ؟ فقال الدليل : قيمته ، يا سيدي ، خمسة عشر قرنا من الحضارة ! ■

ندوة القافلة حول

# ارتياد الفضاء

## والفوائد الناجمة عن ذلك

أجراها الدكتور زهير السباعي

شهدت السنوات الخمس الأخيرة وثبات علمية رائعة في حقل ريادة الفضاء، كان من أروعها هبوط الانسان على سطح القمر والعودة منه الى الأرض بسلام.. وقد أثارت هذه الوثبة التاريخية تساؤلات عديدة حول النواحي الدينية والعلمية والاقتصادية لهذا الحدث العلمي، وشدّت من فضول الأفراد لاجتلاء حقيقته والوقوف على أبعاده ونتائجه، مع العلم أن ما أنجزه الانسان في حقل ارتياد الفضاء حتى الآن، انما هو تجاوز للعقبة الأولى في طريقه الطويل عبر هذا العالم الرحب الذي لا يعلم حدوده الا البارىء جل وعلا..

وتوخيا للفائدة، عقدت القافلة، ندوة في الرياض حول موضوع ارتياد الفضاء، أشرف على ادارتها **الدكتور زهير السباعي**، وشارك فيها كل من: **الدكتور عبد الرحمن الانصاري، والدكتور صلاح الدين السمرائي، والأستاذ عبدالعزيز الرفاعي، وفضيلة الشيخ ثاني المنصور، والدكتور محمد عبده يماني، والدكتور يوسف نعمة الله، والأستاذ حسن عبد الله القرشي.**

* **زهير السباعي**: يستبعد بعض الناس امكان ارتياد الانسان الفضاء والوصول الى القمر، بدعوى أن هذا أمر لا يتفق وما جاء في القرآن الكريم، فما رأي الدين الحنيف في ذلك؟

* **ثاني المنصور**: قال الله تعالى: **«ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا».**

وقال تعالى: **«والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة، ويخلق ما لا تعلمون. وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس».**

وقال تعالى: **«فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء».**

من كل هذه الآيات نرى أنه ما من شيء ينفع البشر الا وقد هيأه الله سبحانه وتعالى. وهذه المنافع تتدرج من السيارة الى الطائرة الى الصاروخ. وقد قال تعالى: **«علم الانسان ما لم يعلم».**

ومن هنا لا أرى هناك ما يمنع من الوصول الى القمر.. **«والله خلقكم وما تعملون».**

* **زهير السباعي**: وماذا، يا ترى، شاهد رواد الفضاء على سطح القمر؟

* **محمد عبده يماني**: كما كان متوقعا، شاهدوا بحر الهدوء وبحر الظلام. وتيقنوا من عدم وجود الماء. وجاءوا بعينات من تربة القمر، وهي عبارة عن رماد بركاني كثيف جدا. كما اكتشفوا أن الصخور التي تكون منها سطح القمر تشبه الى حد بعيد صخور «البازل» و«الأوبسيدين» الموجودة على الأرض، وهي لم تتعرض لعوامل التعرية، كالماء والهواء. ولكنها كانت تحمل آثارا خلفتها النيازك والشهب التي تسقط باستمرار على سطح القمر. ومع ذلك فان العينات التي عاد بها الرواد الى الأرض تبدو وكأنها جمعت من على سطح القمر، ولم تكسر من صخوره، مما يبعث على الاعتقاد بأنه من المحتمل أن تكون قد سقطت على القمر من بعض الكواكب الأخرى.

* **زهير السباعي**: ما هو رأي الشعر والشعراء في هذا الكوكب الذي طالما رأوا أحلامهم فيه، ثم تبدى صخورا ووديانا؟

* **حسن القرشي**: القمر كان، ولا يزال، مستوحى للشعراء. وقد كان ولا يزال الجسم النوراني الذي يضفي كثيرا من الخيال على رائيه، وقد اتصل الشعر بالقمر منذ زمن بعيد.



المشتركون في الندوة وهم من اليمين : الأستاذ حسن عبد الله القرشي ، فالدكتور صلاح الدين السمرائي ، فالدكتور يوسف نعمة الله ، فالسيد ابراهيم المهوس ، فالدكتور زهير السباعي ، فالشيخ ثاني المنصور ، فالدكتور عبد الرحمن الأنصاري ، فالأستاذ عبد العزيز الرفاعي ، فالدكتور محمد عبده يماني .

فالشاعر الراحل علي محمود طه يتصور القمر حبيبا قديرا على أن يتسلل الى محبوبته ويزاحمه عليها ، وراح يحذر هذه المحبوبة منه في قصيدة يقول فيها :

**أغار عليك من ساب كأن لضوئه لحنا**
**تدق له قلوب الحور أشواقا اذا غنّى**
**رقيق اللمس عربيد بكل مليحة يعنى**
**جرىء ان دعاه الشوق أن يقتحم الحصنا**
**تحدّر من وراء الغيم حين رآك واستأنى**
**ومس الأرض في رفق يشق رياضها الغنّا**
**عجبت له وما أعجب كيف استلم الركن**
**وكيف تسور الشوك وكيف تسلق الغصنا**

كذلك الشاعر خير الدين الزركلي جعل القمر موضع مناقشة معه ، وأن هذا الكائن لا بد أن يعطف على البشرية وينظر اليها باهتمام . قال من قصيدة له :

**لم تبق أيدي الحادثات ولم تذر**
**فعلام تضحك في سمائك يا قمر**
**أرأيت تائهة على أترابها**
**فتّانة بسفورها وحجابها**
**خلاّبة بدلالها وعتابها**
**غلاّبة بحديثها وخطابها**
**ذهب الزمان بمالها وشبابها**
**وتفردت بأنينها ومصابها**
**ناجتك شاكية تصاريف القدر**
**فعلام تضحك في سمائك يا قمر ؟**

كما أن بعض الشعراء تصور أن القمر لا بد وأن يصل الانسان اليه على نحو ما .. فالأستاذ محمود غنيم يقول :

**لنا في الجو أجنحة تطير**
**فتفزع عند رؤيتها النسور**
**كأني بالزمان وقد تدنى**
**من المستعجل القمر المنير**
**وصار الكوكبان على اتصال**
**لكل عند صاحبه سفير**
**أهل ينمو به زرع وضرع**
**وتسجع في خمائله طيور ؟**
**وهل يجري به ملح أجاج**
**من الآذيّ أم عذب نمير ؟**
**قرين الأرض مالك غير بر**
**بأمك لا تزار ولا تزور**
**أتأنس بالضيوف اذا ألموا**
**بساحك أم يزيد بك النفور**

ومن بين الشعراء الذين أخذوا بروعة القمر الأستاذ أنور العطار ، اذ يقول :

**أسكب النور يا قمر**
**واغمر النهر بالصور**
**وأذع فرحة الجوى**
**وأشع لذة السمر**
**واترك القلب حالما**
**ناسيا روعة الغير**
**يجمع النفس كلها**
**من شهية في النظر**

أما خالد الشواف فيرى أن القمر صديق الشعراء والفنانين :

**يا رفيق الركب في الصحراء حيّتك القلوب**
**السرى لولاك يا وضاح في البيد رهيب**
**والصوى سر لقلب الليل ضاف والدروب**
**والكرى في أعين السارين مفقود سليب**

* **زهير السباعي :** هل كانت ثمة دلائل تاريخية تشير الى تطلع الانسان القديم الى الفضاء الخارجي ، والى القمر بالذات ؟

* **عبد الرحمن الانصاري :** القمر وبقية الكواكب كانت الشغل الشاغل للانسان منذ عهد



الاستاذ حسن عبدالله القرشي : مدير مكتب معالي وزير المالية ، اديب وشاعر

موغل في القدم ، ومنذ أن بدأ الانسان بالبحث عن صورة من صور الحياة،شعر بقوتها وبتأثيرها على حياته ، فاتجه الى الشمس والى القمر والى البحر ، ولكنه في خلال بحثه الطويل كان ملتصقا بالسماء أكثر من أي شيء آخر .

وقد بعث الله الأنبياء والرسل لهداية البشر الى عبادته . وتحضرني الآن القصة التي جاءت في القرآن الكريم تتحدث عن الصراع النفسي الذي حصل لسيدنا ابراهيم« **فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي ، فلما افل قال لا أحب الآفلين . فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي ، فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين . فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال : يا قوم اني بريء مما تشركون اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين** ».

وهناك محاولات أخرى جاء ذكرها في القرآن الكريم ، منها محاولات الوصول الى السماء بشكل أو بآخر . ومن هذه المحاولات محاولة الشياطين استراق السمع ، وفي هذا يقول الكتاب الكريم : **« الا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين »** . وكذلك محاولة وصول فرعون موسى الى السماء : **« وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ الأسباب ، أسباب السموات فأطّلع الى اله موسى »** فكل هذه المحاولات مرت تاريخيا ، ويبدو أن الانسان قام بها معتمدا على معتقدات مختلفة .

• **زهير السباعي :** هل كانت هناك محاولات سابقة قام بها الانسان بغية الوصول الى القمر ؟

• **عبدالعزيز الرفاعي :** الفتوحات التي تتعلق بالفضاء ليست مقصورة على العلم وحده ، وانما لها تأثيرها الكبير على المجتمع بل وعلى الانسانية جمعاء . ولا شك في انها من نظرات الناس ، وخاصة العاديين منهم ، الى الحياة والى معانيها وتطور أحداثها العلمية .

لقد ارتاد الانسان الفضاء منذ القدم بخياله وتفكيره .. وحاول أن يتصور ما عليه الكون ، وبذل في ذلك الكثير من المحاولات . فيروى أن المقنع الكندي وهو شاعر عربي أطلق قمرا ظل يرى شهرين ، ولم تعرف عنه تفاصيل كثيرة .

وهناك أيضا محاولة مشهورة قام بها أحد الفلكيين العرب عندما حاول أن يجعل على جسمه ريشا ، وصادف بعض النجاح في محاولته بأن استطاع أن يطير مسافة قصيرة ، ثم سقط وأصيب ببعض الجروح . ان الأحداث الأخيرة جديرة بتنبيه الأمة العربية والاسلامية الى أهمية العلم ومدى ارتباطه بالحياة في المستقبل .



الدكتور صلاح الدين السمرائي : رئيس قسم الهندسة الكهربائية بكلية الهندسة في جامعة الرياض

• **زهير السباعي :** ما هي المكاسب الاقتصادية التي يمكن أن يحققها الانسان من وراء محاولته لارتياد الفضاء ، اذا علمنا أن ادارة الفضاء الأمريكية تنفق نحو ٤ بلايين دولار سنويا على أبحاث الفضاء ؟

• **يوسف نعمة الله :** غزو الفضاء يستأهل هذا الانفاق الطائل لو نظرنا اليه من الناحية التكنولوجية . فالانسان يحاول من خلال ارتياده للفضاء أن يتحكم في المناخ وفي ما حوله من أمور منذ أجيال . وهو يبحث فيما يبحث عن أحسن الطرق لزيادة الانتاج ، والسيطرة على المناخ ووصل القارات بعضها ببعض . ولو حسبنا الأموال التي تنفق على ريادة الفضاء وأثر ذلك على الولايات المتحدة الأمريكية فقط .. لوجدنا انه يؤدي الى زيادة الدخل القومي فيها . فمشكلة الدول المتقدمة هي زيادة المدخرات ومعظم الدخول القومية ينفق على الاستهلاك ، وتكدس المدخرات يؤدي الى انخفاض الانفاق على الاستهلاك ، فيقل الطلب على المبيعات بالجملة ، وبالتالي يقل الطلب على المصانع ويحاول أصحاب المصانع أن يقللوا من الأيدي العاملة مما يؤثر على دخل العمال وقوتهم الشرائية . ومن هنا تنفق الحكومة على مشاريع عدة لتشغيل الأيدي العاملة . وقد يؤثر زيادة الدخل القومي في بلاد ما على بلاد أخرى بالتبادل التجاري وعلى هيئة اعانات . ومن هنا نجد أن لغزو الفضاء عوائد اقتصادية كثيرة على الولايات المتحدة وعلى التكنولوجيا نفسها.

• **زهير السباعي :** ما الفائدة التي حققتها التكنولوجيا الحديثة من ريادة الفضاء ؟

• **صلاح الدين السمرائي :** عندما بدأت المواصلات الفضائية تتطور تعددت التصاميم للسفن الفضائية للخروج من جاذبية الأرض ، وقد تطلب ذلك جهود كثيرة من مهندسي تصاميم الآلات الحاسبة الالكترونية . ومن ناحية أخرى فقد تمكن العلماء من انتاج الطاقة الكهربائية وخزنها بما يضمن وجود احتياطي منها يكفي لتشغيل أجهزة السفينة



الدكتور يوسف نعمة الله : مدرس مادة الاقتصاد ووكيل عميد كلية التجارة في جامعة الرياض



الدكتور زهير السباعي : مدير الميزانية وتخطيط البرامج في وزارة الصحة

حتى عودتها الى الأرض سالمة . ومع هذا فاني أرى أنه من الأجدى والأنسب أن تصرف هذه المبالغ في سبيل تحسين أحوال الانسان المعيشية والعلمية والصحية في البلدان التي لم تأخذ بأسباب الحضارة بعد ، بدلا من انفاقها على التسابق في ميدان الفضاء .

* **زهير السباعي :** أستطيع أن أتطرق الى العوائد التي جنيناها من تجارب الفضاء في حقل الطب والبيولوجيا . فهناك انعكاسات كثيرة على ميدان الطب جاءت نتيجة أبحاث الفضاء هذه . ومن هذه الانعكاسات مثلا اكتشاف علاج للذبحة الصدرية . ولأول مرة عرفنا بالتحديد متطلبات الانسان من الحامض الاميني « amino acid » التي تدخل في تركيب « البروتينات » . كما عرف العلماء الكثير عن تأثير الاشعاع على الخلية ونواة الخلية .

ولكن ما هو تأثير ارتياد الفضاء في النواحي الاجتماعية والثقافية والاقتصادية ؟

* **عبد العزيز الرفاعي :** السؤال هو : هل ما بذل على أبحاث الفضاء يمكن أن يعوض بمكاسب علمية كبيرة ؟ واذا كانت هذه الفوائد الطبية التي ذكرها الدكتور السباعي هي بعض الذي تحقق في خلال الصعود الى القمر فلا شك أن الانسانية تجني فوائد الآن وربما أخرى سيسفر عنها البحث العلمي في المستقبل .

ومن نواحي اجتماعية بلا شك أن الانسانية تعاني الكثير في الوقت الحاضر من مرض ومن جوع ومن تخلف في كثير من الأمم فاذا استطاع العلم ، سواء كان عن طريق غزو الفضاء أو بوسيلة أخرى ، أن يستهدف معالجة أمراض الانسانية هذه وان يحقق لها مكاسب ، فبلا شك أننا نحمد الطريق ونحمد النتيجة .

* **زهير السباعي :** بعد هبوط الانسان على القمر تبين أنه خال من الماء ، ثم توالت الأخبار عن ندرة احتمال وجود الماء على كوكب المريخ ، ومن هنا يعتقد بعض المتتبعين لهذه الأمور أن أبحاث الفضاء ربما كانت أكثر أهمية من الوصول الى القمر .

* **محمد عبده يماني :** الآن بعد أن وصل الانسان الى القمر سوف يشرع في انشاء المحطات الفضائية التي ستمكن الرواد من استخدام القمر كمحطة للانطلاق الى الكواكب الأخرى . فكلما بعدنا عن الشمس انخفضت درجة الحرارة . وهناك احتمال وجود ماء في كوكب الزهرة . وربما الحياة على سطحه تختلف عن الحياة على كوكب الأرض . هذا النجاح في غزو الفضاء




فضيلة الشيخ ثاني المنصور : المشرف الديني في رعاية الشباب في وزارة المعارف

يعزز ايماننا بالله ويزيدنا تمسكا بالخالق المبدع جل وعلا . ومن خلال نتائج الأبحاث الفضائية استفادت الانسانية الكثير في مجالات الطب والمواصلات والوسائل العلمية لاكتشاف سبائك ولدائن لم يكن يعرفها الانسان من قبل .

فكل هذه الاكتشافات تحدو بنا للمضي قدما نحو مزيد من التطور التكنولوجي وان كانت تبدو وكأنها نتائج جانبية .

* **زهير السباعي :** ما رأي الدين الحنيف في ما يقوله العلماء من أن عمر الصخور التي يتكوّن منها سطح القمر يتراوح بين ثلاثة وأربعة ملايين سنة ؟

* **ثاني المنصور :** كلنا نعرف أن الله أبدع الخلق وجعل لكل شيء أجلا . ويقول الله تعالى : **« وكل شيء قدرناه تقديرا »** فالانسان لا يعرف الدنيا متى خلقت ومتى تنتهي . يقول الله تعالى في ذلك : **« ويسألونك عن الساعة ايان مرساها . قل انما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها الا هو » .** فالدين متعلق بأشياء أساسها النصوص التي يقف عندها الانسان .

* **زهير السباعي :** يفكر العلماء في أن ينشئوا محطة فضاء تمكن الرواد من الانتقال منها الى القمر في رحلات جماعية فما رأيكم في الاشتراك في مثل هذه الرحلات ؟

* **عبد الرحمن الانصاري :** ستكون ولا شك رحلة ممتعة ، ولكن في الحقيقة لست أعرف ما اذا كانت حالتي الصحية ستمكنني من القيام بذلك . على اني أعتقد أن رحلتي الى العلا أو مدائن صالح أجدى لي من رحلتي الى القمر .

* **زهير السباعي :** ترى هل نستطيع بمعلوماتنا الحاضرة أن نجري دراسة عن العوائد والتكاليف لرحلات الفضاء ؟

* **يوسف نعمة الله :** لا شك في أن التكاليف تقاس بالعوائد . وهناك عوائد مادية ومعنوية قصيرة وطويلة الأجل . وأنا هنا أفضل أن أتحدث عن رحلات الفضاء بدلا عن الهبوط على سطح القمر ، كما أرى أن الانفاق على بحوث الفضاء له آثار تكنولوجية سيكون لها تأثير ايجابي على ادخال تحسينات جذرية على حقلي الزراعة والصناعة .. والدول التي تعتمد على الدراسات والبحوث ستحظى



الدكتور عبدالرحمن الانصاري : مدرس التاريخ القديم ومساعد عميد كلية الآداب في جامعة الرياض



الاستاذ عبدالعزيز الرفاعي رئيس ادارة الشؤون السياسية بديوان مجلس الوزراء ، اديب وشاعر



الدكتور محمد عبد يماني : مدرس اقتصاديات المعادن بكلية العلوم في جامعة الرياض

ولا شك بزيادة دخلها القومي . ففي الخمسينات من القرن الحالي ارتفع معدل الدخل القومي في الولايات المتحدة بنسبة ١٫٥٪ في السنة ، ثم ما لبث أن ارتفع هذا المعدل من ١٫٥٪ الى ٦٪ في السنة في مطلع الستينات . وللانفاق على عدد من المشاريع ، بما فيها بحوث الفضاء ، أثر كبير في رفع نسبة الدخل القومي .

* **صلاح الدين السمرائي :** الواقع انيلا استكثر الانفاق على بحوث الفضاء .. ولكن أرى انه لو أنفق بعض هذه التكاليف على رفع مستوى المعيشة لدى الدول النامية ، لكانت النتيجة أفضل .

* **محمد عبده يماني :** كان بودي لو أعطانا الدكتور زهير السباعي فكرة عن التغيرات البيولوجية التي يتعرض لها رجال الفضاء أثناء رحلاتهم الى الفضاء .

* **زهير السباعي :** من الناحية الفسيولوجية والطبية هنالك مشاكل رئيسية يواجهها رجال الفضاء أثناء رحلاتهم . ومن هذه المشاكل المقدرة على التكيف مع المؤثرات الخارجية ، وأثر الأكسجين والحرارة والضغط ، والاشعاع على جسم المسافر ، وكذلك الناحية النفسية .

فبالنسبة للأوكسجين ، يستطيع الانسان العادي أن يعيش لساعات فقط على ارتفاع ٢٥ ألف قدم اذ أنه عند هذا الارتفاع ينخفض ضغط الهواء ويحصل للمرء شبه تأكسد في الدم . ومعروف أن رائد الفضاء يكون عادة على ارتفاع ٢٣٠ ألف ميل.

أما بالنسبة للحرارة فان أقصى درجة حرارة يستطيع الانسان أن يتحملها هي ٢٤٠ فرنهايت وأدنى درجة ٢٦ فرنهايت ولنا أن نذكر بعد هذا أن الفرق بين درجة الحرارة على سطح المركبة المواجه للشمس وسطحها الآخر يصل الى مئات الدرجات .

وبالنسبة للضغط فالانسان عندما يصل الى القمر يعيش في $\frac{1}{6}$ جاذبية الأرض .. وهو بدون بذلة الفضاء التي يرتديها معرض لانفجارات في الرئة والأذن الداخلية وضمور العضلات . وعند هذا الحد من الضغط المنخفض يعجز الانسان عن التركيز والتفكير والتصور السليم .

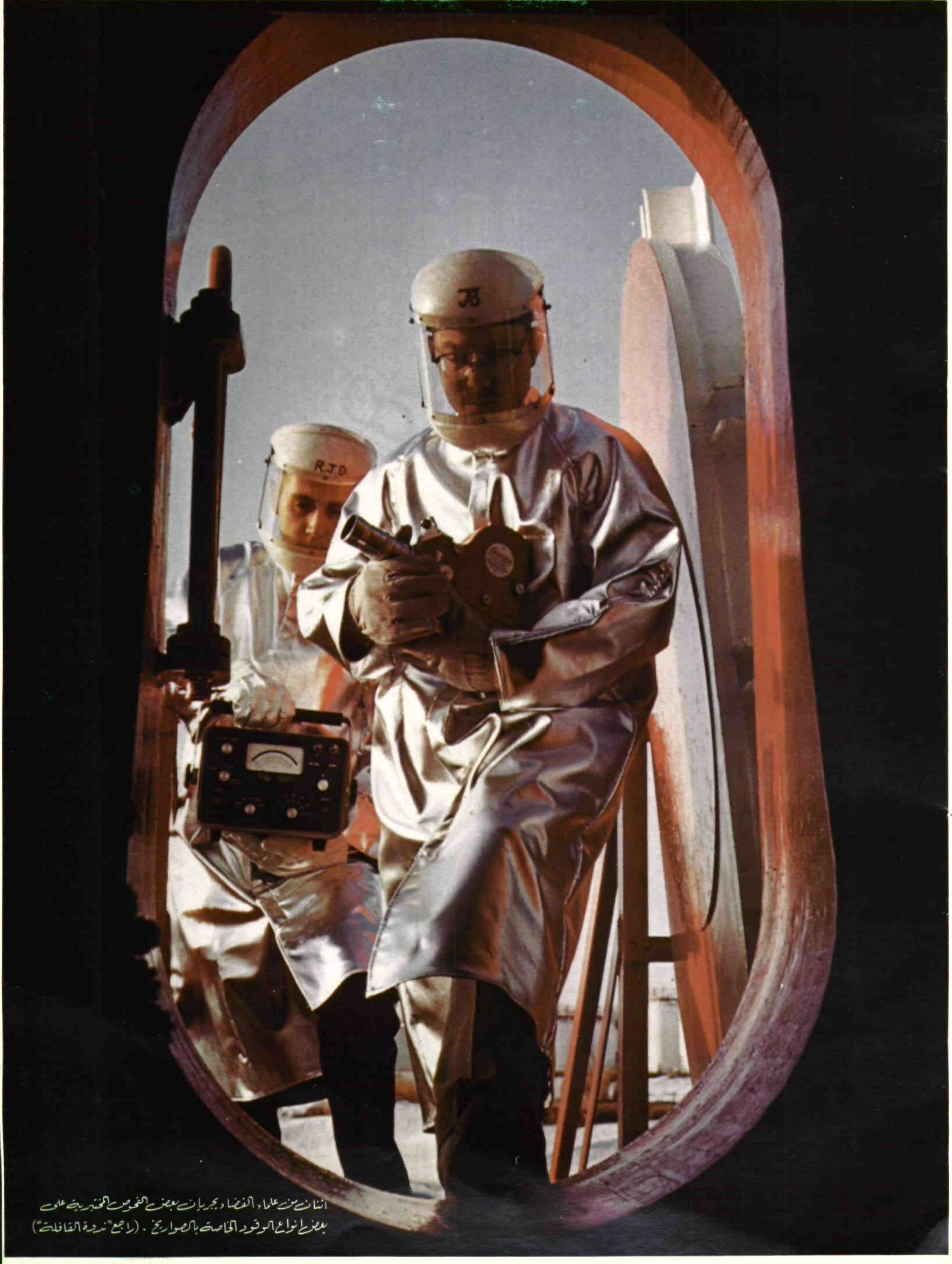
أما من الناحية البيولوجية .. فقد أرسل العلماء مرة يرقة ذبابة الى الفضاء وعندما عادت الى الأرض فقست وجاءت مشوهة نتيجة تأثير الأشعاع عليها .

* **ثاني المنصور :** لي بالمناسبة مقطوعة شعرية في العلم والتقدم الحديث وارتياد الانسان القمر :

**بزغت شمس الترقي فانتشر**
**نورها بالعلم في كل البشر**
**وأميت الجهل في زاوية**
**قبروه في ثراها فاندثر**
**حلّق القوم الى أوج السّها**
**ناهبي الليل اجتهادا بالسهر**
**علموا المطلوب فاستحلوا له**
**تعب الجسم ففازوا بالظفر**
**ها هو الصاروخ منقضا الى**
**عالي الأجواء يرتاد القمر**
**وكذاك البرق في سرعته**
**كم حكى سرا عظيما وستر**
**يرسل الأخبار من دقاته**
**فحديد ناب عن صوت البشر**
**وعباب البحر أن تمخره**
**باخرات كجبال في الكبر**
**والقطار الضخم في وثباته**
**مثل ما السيل من العالي انحدر**
**ها هو العلم ومن فيه فني**
**كل غال ونفيس مدخر**

* **حسن عبدالله القرشي :** أما أنا فقد قلت في القمر ما يلي :

**سماؤك باهرة الدرر**
**وكونك مؤتلق مزدهر**
**وأنت تغنّي نشيد المساء**
**وتسخر من نغمات البشر !**
**تحدثهم عن نعيم الحياة**
**ويسعون نحو سناك الأغر**
**فتضحك من صبوات المحب**
**ومن نزوات الحبيب الأشر**
**ومن خيلاء اللئيم اللؤوم**
**ومن غلواء الأب المفتخر**
**وتعجب من مارح لاعب**
**ومن خلفه سل سيف القدر !**
**ومن مرتق سلما للطموح**
**وفي آخر السلم المنحدر**
**وكل يرى فيك نعم السمير**
**ونعم النديم اذا ما ظهر**
**ونعم النجي ، ونعم الوفي**
**ونعم الأليف البعيد الضجر**
**وكل يبادلك الأمنيات**
**ويرعى لديك ألوف الفكر**
**فقد ترتدي ثوب ليلى لقيس**
**وربتما كنت قيس الأبر !**
**لذي الوجد أنت الحبيبة تفدى**
**وأنت الحبيب لذات الخفر !**
**زهاهم طلاؤك حلو الرواء**
**وما علموا أي لون تسر !**
**تحيرت منك ومما ترى**
**وما زلت مبتسما يا قمر !**
**ولو كنت مثلك في عالمي**
**تحجبت حتى تموت النذر ■**




اثنان من علماء الفضاء يجريان بعض الفحوص المختبرية على
بعض انواع الوقود الخاصة بالصواريخ . (راجع "ندوة القافلة")



الفروسية رياضة عريقة في المملكة العربية السعودية جرى تطويرها مؤخراً . (راجع مقال "الفروسية") تصوير: علي محمد خليفه